الدكتورة
مروة مختار الظابط

عبقرية عمر للعقاد
دراسة نصية

رسالة ماجستير

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية عابدين القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

عبقرية عمر للعقاد
دراسة نصية
الدكتورة مروة مختار الظايط
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
٢٠٨ صفحة ١٧ × ٢٤ سم
رقم الإيداع: ١٤٣٩٥/٢٠١٤
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
978-977-225-401-9

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة.
غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأى وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

دار الكتب والوثائق القومية

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

الظايط، مروة مختار عبد النبى.
عبقرية عمر للعقاد: دراسة نصية /
مروة مختار عبد النبى الظايط - القاهرة: مكتبة وهبة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠١٤
٢٠٨ صفحة؛ ٢٤ سم.
تدمك ٩ ٤٠١ ٢٢٥ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الادب العربى - تاريخ ونقد
٢- العقاد عباس بن محمود إبراهيم / ١٨٨٩-١٩٦٤
٣- الخلفاء الراشدون
أ- العنوان
٩٥٣,٠٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة:٢٨٢)

الإهـــداء

إلى كل مَنْ علمني حب العربية وتَدَبُّر أسرارها .

مروة مختار

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وبعد ...

فقد عنونت هذا الكتاب بـ (عبقرية عمر للعقاد : دراسة نصية) وسعيت من خلاله إلى تحقيق هدفين :

١- محاولة الاستفادة من المناطق المضيئة في تراثنا القديم التي ظهرت بها إرهاصات مبكرة لتماسك النصوص ، وانتقاء ما يتفق مع خصوصية لغتنا العربية من الوافد الغربي الذي يمثله منهج (علم اللغة النصي) .

٢- معرفة الوسائل التي اعتمد عليها العقاد لتحقيق تماسك نصه ووحدته .

وقد واجهتُ في سبيل تحقيق هذين الهدفين بعض الصعوبات منها :

١- قلة المراجع الخاصة بعلم اللغة النصي ؛ فمعظمها قد ترجم عن لغات أجنبية ، ومعظم هذه المترجَمات تفتقر إلى وضوح العبارة .

٢- عدم استقرار المصطلحات المستخدمة في هذا العلم .

٣- قلة البحوث التطبيقية .

٤- خلط معظم من قاموا بالتطبيق بين هذا المنهج ومناهج أخرى[١].

وقد جاء الكتاب في مقدمة وثلاثة فصول وثبت بالمصادر والمراجع .

وقد تناولت في (الفصل الأول) الدرس النصي بين القدماء والمحدثين ، وقسمته إلى مبحثين :

---

(١) ومن هؤلاء الباحثين : سعيد يقطين في كتابه (تحليل الخطاب الروائي) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ١٩٩٧ .

المبحث الأول بعنوان (ظواهر نصية في الدرس القديم) :

وتناولت من خلاله وسائل الربط لدى النحاة القدماء ، وذكرت أنها مرت بمرحلتين :

المرحلة الأولى هي مرحلة الإشارة العابرة ، وأعني بها الإشارات التي وردت لدى النحاة القدماء عن الربط بصورة متفرقة دون تخصيص مبحث مستقل لها ، ومن هؤلاء النحاة : ابن السراج ، وأبو الحسين بن الربيع ، وابن الفلاح .

والمرحلة الثانية هي مرحلة التقعيد ، وأعني بها وضع مبحث مستقل للربط ، وأوردت ما ذكره ابن هشام ، تحت عنوان :

(روابط الجملة بما هى خبر عنه) ، و(الأشياء التي تحتاج إلى الربط) ، ثم تناولت مفهوم الوُصْلة والربط لدى القدماء .

ثم انتقلت إلى مرحلة النضج في فهم وظيفة علم النحو الأساسية ، ومنطقة عمله ، ويمثلها عبد القاهر الجرجاني ، ومن خلال ذلك حاولت بيان العلاقة الموجودة بين المصطلحات الآتية :

(النظم ، المعنى النحوي الدلالي ، الشعرية ، السبك والحبك لدى علماء النص) ، وأوردت مفهوم السبك لدى القدماء أمثال : الجاحظ والباقلاني وعبد القاهر الجرجاني ، ثم بينت مفهوم الفصل والوصل لدى عبد القاهر الجرجاني ، واختتمت هذا المبحث بالدراسة المنهجية التي قام بها حازم القرطاجني لحبك القصيدة العربية .

أما المبحث الثاني فيختص بـ (نظرية علم النص في الدرس الحديث)، وقد تناولت فيه المرحلة التي مهدت للانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص ، وبدايات علم النص ، والأسباب الداعية لنشأة هذا العلم ، والفرق بين مصطلحي النص والخطاب ، ثم انتقلت لمناقشة التعريفات المختلفة للنص ، والأسس المعرفية التي ينطلق منها كل تعريف ، واختتمت المبحث بالحديث عن معايير النصية .

وتناولت في الفصل الثاني (السبك في نص عبقرية عمر) ، وقمت بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإحالة ، وتناولت فيه الإحالة بشقيها الداخلية والخارجية وبينت دورها في تماسك نص العبقرية من خلال التطبيق على فصل كامل من فصولها .

المبحث الثاني : (الوصل بالأداة) وعرفت من خلاله أقسام الوصل لدى بعض علماء النص الغربيين ، وبينت من خلاله عدم صلاحية بعض هذه الأقسام للتطبيق على لغتنا العربية ، واخترت الفصل الموسوم بـ (صفاته) للتطبيق ، معتمدة في ذلك على كتب حروف المعاني لدى القدماء .

أما المبحث الثالث فقد تناولت فيه ظاهرة (التكرار) التي ظهرت من خلال عدة مستويات :

١ - تكرار اللفظ

٢- تكرار اللفظ ومادته المعجمية .

٣- تكرار جملة كاملة .

٤- تكرار جزء من الجملة .

٥- تكرار خاص بمتعلق الجملة .

٦- التوازى التركيبى .

وتناولت فى الفصل الثالث والأخير (الحبك فى نص عبقرية عمر) وقمت بتقسيمه إلى سبعة مباحث :

المبحث الأول : (انتماء العبقرية الى حقل دلالى متقارب) وبينت من خلاله سعى العقاد الدؤوب للربط بين فصول العبقرية عن طريق تقارب الحقول الدلالية لفصولها .

المبحث الثاني : (ترتيب فصول العبقرية) وأجبت فيه عما يلى : لماذا رتب العقاد فصول العبقرية بهذا الشكل ؟ وكيف أسهم هذا الترتيب فى تماسك العبقرية ككل ؟

المبحث الثالث : (العلاقة بين بداية الفصل ونهايته) وبينت من خلاله محاصرة العقاد لقارئه منذ بداية كل فصل من فصول العبقرية عن طريق النتيجة التى يرغب أن يوجه فكر القارئ إليها فى نهاية كل فصل .

المبحث الرابع (الإجمال والتفصيل) وبينت من خلاله دور الإجمال والتفصيل بوصفه ضربًا من ضروب الإحالة الضمنية فى تماسك نص العبقرية .

المبحث الخامس : (التقابل الدلالى) وبينت من خلاله أن العقاد يحاول التوكيد على العبقرية العمرية عن طريق تعويله فى المستوى الدلالى العميق على المفارقة بمعنى أن الظاهر من العبارات هو (التقابل الدلالى) ولكن العقاد حول هذا التقابل بفعل السياق الوارد فيه إلى تقابل وتشابه فى آن واحد .

المبحث السادس : (الوصل دون أداة) وبحثت فيه عن الجمل التى تترابط من نفسها عن طريق المعنى ودون أداة للربط .

وقمت بالبحث عن هذا المعنى ، وقد ورد في صورة :

١- التوكيد . ٢- الإجابة عن سؤال ضمني .

واختتمت الفصل بالمبحث السابع وهو بعنوان (الخطاب الحجاجي)، وبينت من خلاله كيف عالج العقاد بعض القضايا بطريقة حجاجية ، محاولاً استمالة القارئ للإيمان بفكرته .

وقد اخترتُ لهذه الدراسة منهجًا حديثًا هو (علم اللغة النصي) ، لكن حداثته ليست مسوغًا للاحتفاء به ، بل إن هذه الحداثة ذات سمات تتشابه مع النسيج العربي .

ومن هنا حاولت تطبيقه على (عبقرية عمر) للعقاد بوصفها نموذجًا للفصحى المعاصرة .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو البحث الذي نلت به درجة الماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها من كلية البنات جامعة عين شمس في أبريل ٢٠٠٣ ، وكان تحت إشراف الأستاذ الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف ، والأستاذ الدكتور صبرى إبراهيم السيد ، وناقشنى فيه الأستاذ الدكتور أحمد كشك ، والأستاذ الدكتور محمد عبد المطلب وحصلت فيه على تقدير ممتاز ، وكان عنوانه (عبقرية عمر للعقاد ، دراسة لغوية) ، وقد عدلت العنوان إلى **(عبقرية عمر للعقاد «دراسة نصية»)** .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

القاهرة في رجب ١٤٣٥هـ

الموافق مايو ٢٠١٤م

دكتورة

مروة مختار عبد النبي الظايط

الفصل الأول

الدرس النصي بين القدماء والمحدثين

المبحث الأول

ظواهر نصية في الدرس القديم

١- وسائل الربط لدى النحاة القدماء :

أشار النحاة القدماء لأهمية الربط بين المفردات في الجملة وبين جملة أخرى ، وقد مر هذا المبحث لديهم بمرحلتين :

(أ) مرحلة الإشارة العابرة في مواضع متفرقة .

(ب) مرحلة التقعيد .

أولاً : مرحلة الإشارة العابرة

وردت لدى بعض النحاة المتقدمين إشارات عابرة في مواضع متفرقة إلى مصطلح « الربط » ، دون تخصيص مبحث مستقل له .

ومن هؤلاء النحاة (ابن السراج) في كتابه (الأصول) فيذكر أن « الحرف لا يخلو من ثمانية مواضع ، إما أن يدخل على الاسم وحده كـ (لام) التعريف ، أو الفعل وحده كسوف والسين ، أو ليربط اسمًا باسم أو فعلاً بفعل كواو العطف نحو جاء زيد وعمرو ، وقام وقعد ، أو فعلا باسم كمررت (بزيد) أو على كلام تام نحو أعمرو أخوك وما قام زيد ، أو ليربط جملة بجملة نحو إن يقم زيد يقعد عمرو ، أو يكون زائداً .

نحو ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:١٥٩)[١].

---

(١) الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٧/٢ .

ومن النص السابق يتبين أن (ابن السراج) تكلم عن الربط وبعض أدواته مثل: حروف العطف وحروف الجر وأدوات الشرط .

ومن الذين أفادوا من ملاحظة (ابن السراج) في إشارته للربط «أبو الحسين ابن الربيع» في شرح الإيضاح ، فقد ذكر أن «الحروف تأتي على عشرة أقسام»[1] ، منها ما يختص بالربط نحو قوله «الثالث : أن يكون رابطًا بين اسمين أو فعلين وهي حروف العطف ، الرابع : أن يكون رابطًا بين فعل واسم وهي حروف الجر ، الخامس : أن يربط بين جملتين وهي الكلم الدالة على الشرط»[2] .

وأختتم هذه الإشارات المتفرقة بإشارة جامعة لدى (ابن الفلاح) في مغنيه ، فذكر أن «الحرف يدخل إما للربط أو للنقل أو للتأكيد أو للتنبيه ، أو للزيادة ، ويندرج تحت الربط حروف الجر والعطف والشرط والتفسير والجواب والإنكار ، لأن الربط هو الداخل على الشيء لتعلقه بغيره»[3] .

ومما سبق يتبين لنا أن القدماء تحدثوا عن الربطَ وأدواته ، ولكنهم لم يخصصوا له مبحثًا مستقلاً به في تلك المرحلة .

ثانيًا : مرحلة التقعيد :

وأعني بها وضع مبحث مستقل للربط ، وأخص بالذكر ما أورده (ابن هشام) تحت عنوان «روابط الجملة بما هي خبر عنه» ، وهي عشرة روابط :

---

(١) الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطى ١٧/٢ .

(٢) المرجع السابق ١٨/٢ .

(٣) انظر : (أ) الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي ٢٠/٢ .

(ب) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، دكتور مصطفى حميدة ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، ط أولى ١٩٩٣ ، ص ١٩٣ .

١- الضمير : «وهو الأصل ، لهذا يربط به مذكورًا كزيد ضربته ، ومحذوفًا مرفوعًا نحو ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ (طه:٦٣)[1] .

٢- الإشارة : نحو قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ (الأعراف:٣٦) .

٣- إعادة المبتدأ بلفظه : وذلك في مقام التهويل والتفخيم ، نحو قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ (الحاقة:١،٢).

٤- إعادة المعنى : نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (الأعراف:١٧٠).

٥- فاء السببية : أن يعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير على جملة خالية منه أو العكس .

٦- العطف بالواو : وهي في الأصل تربط بين جملتين ، وبين جملة الحال وصاحبها .

٧- عموم يشمل المبتدأ في المعنى : نحو «زيد نعم الرجل» .

٨- أل النائبة عن الضمير : نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات:٤٠،٤١) والأصل مأواه .

٩- الترتيب بين الجواب والشرط .

١٠- كون الجملة نفس المبتدأ في المعنى : نحو قوله تعالى ﴿ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (الأنبياء:٩٧) .

وفي إطار الربط بين جملتين يضع (ابن هشام) مبحثًا حول «الأشياء التي تحتاج إلى الربط» وهي : الجملة المخبر بها والجملة الموصوف بها ، والجملة

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام ، تحقيق ح . الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ١٧٨/٢ ، ١٧٩/٢ .

الموصولة ، والجملة الواقعة حالاً ، والجملة المفسرة لعامل الاسم المشتغل عنه .....» [1] .

- الوُصْلة والربط لدى القدماء :

استخدم بعض النحاة مصطلح (الوُصْلة) بمعنى الاتصال أو للتعبير عن الربط» [2] ومن هؤلاء النحاة (ابن القيم) في كتابه (البدائع) «الوصلات في كلامهم التي وضعوها للتوصل بها إلى غيرها خمسة أقسام ..... الخامس : الضمير الذي يربط الجمل الجارية على المفردات أحوالاً وأخبارًا أو صفات وصلات ، فإن الضمير هو الوُصْلة إلى ذلك» [3].

ومما سبق يتبين لنا أن مبحث الربط لدى النحاة بدأ بربط المفردات داخل الجملة الواحدة ، ثم انتقل إلى ربط جملة بجملة ، ووقف عند هذا الحد .

وواصل البلاغيون البحث من بعدهم ، ولكن النقطة التي تستحق الإشارة إليها ، والإشادة بها هي حديثهم عن أن الربط بين جملتين يمكن أن يكون ربطًا بأداة أو بدون أداة ، وأعني به الربط المعنوي أو المفهومي(*) ، ومن أمثلة ذلك إعادة المعنى ، وكون الجملة نفس المبتدأ في المعنى .

---

(١) انظر ، مغني اللبيب لابن هشام ، ٢/١٨٣-١٩٢ .

(٢) انظر : (أ) الفصل والوصل في القرآن الكريم ، دكتور منير سلطان ، دار المعارف ١٩٨٣ .

(ب) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، دكتور مصطفى حميدة ، ص١٩٣ .

(٣) الأشباه والنظائر في النحو ، للسيوطي ، ١/٣٩١ .

(*) ظهرت علاقات الربط المفهومي لدى النحاة منذ كتاب سيبويه ، وهذا يؤكد وعي القدماء الكامل بمهمة علم النحو الأساسية ، وإلى وعيهم بمنطقة عمله الأساسية وهي النصوص ، ومن هذه الإشارات في كتاب سيبويه :

١- أنه يجيز عطف الإنشاء على الخبر .

٢- خروج الاستفهام عن أصل معناه .

٣- الإجابة عن سؤال ضمني .

--

وهذه الإشارات هي التي مهدت الطريق لعلماء (علم معاني النحو) أن يدرسوا ظاهرة «الفصل والوصل» .

السبك والحبك لدى عبد القاهر الجرجاني :

يمثل عبد القاهر الجرجاني في كتابيه : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة مرحلة النضج في فهم الوظيفة الرئيسية لعلم النحو ومنطقة عمله، ويتمثل ذلك في محاولته فهم الخطاب الأدبي عن طريق تحليل صياغته .

ومن هذا المنطلق صاغ نظريته في النظم ، وظهر إدراكه الواعي لطبيعة المعنى ، فقام بدحض دعوى القائل « ... يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى ، وذلك محال ، لأن الذي يعرفه العقلاء عكس ذلك ، وهو أن يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ .... وأنت إن أردت الحق لا تطلب اللفظ وإنما تطلب المعنى وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك وإزاء ناظرك»[1] .

وتلك النظرة الواعية المتعمقة لأسرار العربية هي التي أهلته لصياغة نظريته في «النظم» ، وبخاصة حديثه عن «التعليق النحوي» الذي يتطلب منا دائمًا البحث في المستوى العميق لكشف طبيعته التعليقية .

فإن «غياب التعليق النحوي يؤدي بالضرورة إلى افتقاد الناتج الدلالي ، حيث تصبح الدوال أشتاتًا مبعثرة لا تمثل أية قيمة إنتاجية ، في حين أنها في الوضع الأول كونت نسقًا إبداعيًا .

-- ولمزيد من التفاصيل انظر :

(أ) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي دكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ، ط أولى ٢٠٠٠م،(النحو المفهوم والغاية ٢٥-٣٥).

(ب) أثر النحاة في البحث البلاغي ، دكتور عبد القادر حسين ، دار غريب القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٦٧-١٣١ .

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، ط الثالثة ١٩٩٢ ، ص ٦١ ، ٦٢ .

وربما كان هذا الإدراك الدقيق لدى الجرجاني هو الذي أتاح له أن يمهد مفهومه للتعليق النحوي إلى مجال التفرقة بين الأداء الفني في الشعر ، والأداء الفني في النثر ، من حيث إن لكل منهما طبيعة نحوية مميزة ، أو لنقل بعبارة أخرى : منطقة نحوية أثيرة يتحرك فيها »[1].

وهذا الإدراك الواعي هو الذي هيأ ذهن الجرجاني إلى أن يستخلص فكرة المعنى الأول والمعنى الثاني ، وأن المعنى الأول (المستوى السطحي) لا يستحق أن يسمى أسلوبًا إلا إذا وصل إلى المستوى العميق أو المعنى الثاني ، ومن ثَمَّ تكتمل دائرة اللطف .

وهذا الإطالة السريعة على مقومات نظرية النظم الهدف منها إبراز أدوات عبد القاهر الجرجاني في نظريته وهي : خط المعجم وخط النحو ، ومنطقة عمله هي النصوص الأدبية .

وهذا ما تبناه الدكتور محمد حماسة في كتابه « النحو والدلالة » مستخلصًا فكرة « المعنى النحوي الدلالي » ، فالنحو لديه له مفهوم وغاية ، فمفهومه يتفق والإشارات الواعية الموجودة في كتاب سيبويه ومن أتى بعده من النحاة وانتهاء بالجرجاني ـ الذي يمتلك حس اللغوي وقلب الأديب ـ أما غايته فهي تحليل النصوص وكشف مكنوناتها .

ويكاد مفهوم « النظم » يترادف مع مصطلح آخر يتردد في النقد الحديث هو (الشعرية) ، ويُقصَد بها أدبية الأدب أو البويطيقا ، وهي تسعى إلى « معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل ..... أو هي ـ بمعنى آخر ـ عملية تحرك داخلي في الخطاب الأدبي ، تتحسس خيوطه التي تذهب طولاً وعرضًا ، فتكون شبكة كاملة من العلاقات ذات فاعلية متميزة أسماها « فاليري » الشعرية حين تكون اللغة هي الوسيلة والغاية معًا »[2].

---

(١) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني دكتور محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط أولى ١٩٩٥ ، ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

وبناء على ما سبق يمكننا أن نقول إن :

« النظم / والمعنى النحوي الدلالي / والشعرية » مترادفات .

وإن رأي الدكتور محمد عبد المطلب أن مصطلح (النظم) أدق من مصطلح (الشعرية) لأنه : يعبر بصدق عن تزاوج خط المعجم وخط النحو ، مع إعطاء أولوية للخط الثاني ، وذلك بالعمل من خلال قوانينه ، والتحرك من خلال مناهجه ، والحفاظ على رسومه دون الإخلال بشيء من هذا كله .

والنظم هو الذي ينقل الصياغة من مستوى إلى مستوى آخر بالنظر إلى الإمكانات والطاقات الكامنة في بنية الكلام »[1] .

ويتبادر إلى الذهن مفهوم النظم ، حينما نصادف في الدرس النصي مصطلحي السبك والحبك .

فالأول يدور حول الترابط الرصفي أي العلاقات النحوية الظاهرة على سطح النص ، أما الثاني فيدور حول الترابط المفهومي المستنبط من النص والناتج عن إحكام علاقات الترابط الرصفي .

وكأننا بذلك نعود إلى المعنى الأول والمعنى الثاني لدى عبد القاهر ، وبناء على ذلك يمكننا أن نقول إن :

(النظم / والمعنى النحوي الدلالي / والشعرية / والسبك والحبك) مترادفات.

وقد تردد مصطلح السبك في كتب القدماء ومن ذلك :

١- الإشارة التي وردت على لسان الجاحظ « فالمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي ، والقروي والبدوي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك ، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير »[2].

---

(١) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، ص ١٣٤ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٢٥٦ .

٢- وإشارة الباقلاني في إعجاز القرآن : «ولا يخفى على أحد يميز هذه الصنعة سبك أبي نواس من سبك مسلم ، ولا نسج الرومي من نسج البحتري...»[١].

٣- إشارة عبد القاهر الجرجاني «فأول ذلك فأعجبه ما قدمت لك ذكره في بيت بشار :

بَكِّرَا صَاحِبيَّ قَبْلَ الهَجِيرِ إنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ في التَّبْكِيرِ

وما أنشدته معه من قول بعض العرب :

فَغَنِّهَا وَهْيَ لَكَ الفِدَاءُ إنَّ غِنَاءَ الإِبِلِ الحُدَاءُ

وذلك أنه هل شيء أبين في الفائدة، وأدل على أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل ، أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغًا واحدًا وكأن أحدهما قد سبك في الآخر»[٢].

ومن خلال الإشارات السابقة يتبين لنا أن مصطلح السبك لدى القدماء يعني: دقة النظم وبراعته ، ومن ثَمَّ يختلف سبك كل شاعر ، وبعبارة أخرى :

إن مصطلح السبك لدى القدماء يعبر عن نجاح الشاعر في التوفيق بين خط المعجم وخط النحو ، ومن ثَمَّ استخدموا (لفظ نسج) لأن النسيج يتكون من السداة واللحمة ممثلتين للخطين السابقين ، هذا الالتحام الذي أكده الجرجاني بقوله «حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغًا واحدًا ، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر».

أولا الوصل : الربط بالأداة

يقسم الجرجاني مواضع الوصل بين الجمل إلى قسمين :

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، ص١٨٢ .
(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

الأول : أن تكون الجملة الثانية معطوفة على جملة لها موضع من الإعراب: «وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد ، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريًا مجرى عطف المفرد على المفرد»[1].

وذلك نحو «مررت برجل خَلْقه حسن وخُلُقه قبيح» فالواو الواقعة بين الجملتين أشركت الجملة الثانية في حكم الأولى من حيث كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة .

والثاني : أن تكون الجملة الثانية معطوفة على جملة لا محل لها من الإعراب ، يؤكد عبد القاهر أن الإشكال في هذا الموضع يعرض في «الواو» دون غيرها من حروف العطف ، وذاك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني مثل أن (الفاء) توجب الترتيب من غير تراخ ، و(ثم) توجبه مع تراخ ، و(أو) تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه ، فإذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة»[2] .

أما الواو حينما تربط بين جملتين فهي تؤكد تغاير معنى الجملتين ، وفي الوقت نفسه تقوم الجملة الثانية من الجملة الأولى مقام الشبيه أو النظير أو النقيض .

فلو قلت «زيد طويل القامة وعمرو شاعر» كان خلفًا ، لأنه لا مشاكلة ، ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر ، وإنما الواجب أن يقال «زيد كاتب وعمرو شاعر» و«زيد طويل القامة وعمرو قصير»[3].

---

(١) دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٣) وفي هذا المضمار يورد الجرجاني بيتًا لأبي تمام :

لا والذي هوَ عالمٌ أنَّ النَّوَى صَبِرٌ وأنَّ أبا الحُسَين كَريمُ

ويذكر أنهم عابوا عليه هذا البيت ، لأنه لا توجد مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى! انظر : دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٥ ، «ولكن» لماذا لا يكون أبو تمام قد --

هذا في حالة اختلاف المسند إليه في الجملتين ، أما إذا كان المسند إليه واحدًا في الجملتين نحو قولنا : هو يقول ويفعل ، ويضر وينفع ، ويسيئ ويحسن ... ازداد معنى الجمع في «الواو» قوة وظهورًا لأننا بذلك أثبتنا الفعلين لمسند إليه واحد وزاد الاشتباك والاقتران(*) .

ثانيًا : الفصل «الوصل دون أداة»

ويعني به الجرجاني الكلام الذي «يستغنى بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه»(1) أي أنه ربط بين جملتين دون استخدام أداة الربط .

وقد حدد الجرجاني بعض العلاقات التي تظهر فيها هذه المسألة ومنها :

١- التوكيد :

وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة:٦،٧) .

--عمد إلى هذا التنافر بجامع أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية ولعلاقة أن كرم أبي الحسين هو ما يخفف عنه مرارة النوى ، لأنه ما بَعُد عن صاحبته إلا ليقصد أبا الحسين ؟ انظر : الفصل والوصل في القرآن الكريم دكتور منير سلطان ، ص ٦٥ . بمعنى أن ظمأ العاشق يزداد ببعده عن محبوبته ، وهو في هذه الحالة محتاج إلى يد حانية وسخية لتروي هذا الظمأ فيتذكر آنذاك كرم أبي الحسين .

(*) ومن هذا القبيل أيضًا «العطف بين المتباعدين في المنزلة قد يفرغ من أعلاها على أدناها فيستشرف إلى منزلته كما في قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ فإن عطف الأرحام على ضمير ذي الجلال وقرنها باسمه الشريف مما يشعر أنها عنده بمكان ... وهكذا يتجاوز العطف فكرة التشريك في الحكم إلى أن تفرغ الكلمات عند مضموناتها» : انظر دلالات التراكيب للدكتور محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط الثانية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٢٧ وفي هذا المضمار يذكر الدكتور محمد محمد أبو موسى : أن الوصل وصلان ؛ وصل ظاهر بحرف الوصل ، ووصل خفي تتصل فيه الجملة من ذات نفسها وهو أقوى الوصلين ، دلالات التراكيب ، ص٣٠٨ .

فقوله تعالى : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ جاء ليؤكد قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ «تأكيد ثان أبلغ من الأول ، لأن من حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر ، كان في غاية الجهل، وكان مطبوعًا على قلبه لا محالة»[1].

أي أن تلاقي المعاني أغنى عن استخدام أداة للربط بين الجملتين .

٢- الخبر والحكاية:

أي أن تكون الجملة الأولى خبرًا والثانية حكاية كما في قوله عز وجل : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة:١٤،١٥) .

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ حكاية عنهم أنهم قالوا ، وليس بخبر من الله تعالى ، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، وإن كان كذلك ، كان العطف ممتنعًا»[2].

٣- الإجابة عن سؤال ضمني:

ويظهر ذلك في الآية السابقة أيضًا «إذ الحكاية عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت» تحرك السامعين لأن يعلموا مصير أمرهم وما يصنع بهم ، وأتنزل بهم النقمة عاجلاً أم لا تنزل ويمهلون وتوقع في أنفسهم التمني لأن يتبين لهم ذلك»[3].

ومن هنا جاء الجواب في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

---

(١) دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣١.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٥.

وانطلاقًا من نظريته في النظم يذكر الجرجاني «واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك، في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعًا واحدًا، وأن حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين. وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره، وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة»[1].

إن هذه النظرة الواعية التي صور فيها المبدع بالباني ليدلل على دقةِ عمله، وفي الوقت نفسه يؤكد على أن هذا البنَّاء له حرية اختيار شكل البِنَاء دون التقيد بقوانين سابقة. ومن هذا المنطلق الواعي لأسرار العربية صاغ رأيه في بيان شأن عطف الجمل.

بيان دقيق في شأن عطف الجمل:

ينص عبد القاهر «أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان»[2].

مثال ذلك قول المتنبي:

تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنًا ... تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي اغْتِيَالا

فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمُ ذَمِيلا ... وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمَالاَ

فقوله (فكان مسير عيسهم) معطوف على قوله (تولوا بغتة) دون ما يليه من قوله (ففاجأني) لأنه بذلك سيدخل في معنى التوهم الذي أضفته (كأن) على الجملة، بالإضافة إلى أن هذه الجملة المتوسطة ترتبط في معناها بالجملة الأولى، فالمعنى: «تولوا بغتة فتوهمت أن بينا تهيبني؟» فصارت الجملة الثانية مع الأولى كالشيء الواحد.

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٤.

«فنحن إذا قلنا إن العطف على «تولوا بغتة» فإنا لا نعني أن العطف عليه وحده مقطوعًا عما بعده، بل العطف عليه مضمومًا إليه ما بعده إلى آخره ... فأمر العطف إذن موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضًا على بعض، ثم تعطف مجموع هذه على مجموع تلك»[1].

وأختتم هذا المبحث بنص للجرجاني يقول فيه: «واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصيغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى يكثر في العين، فأنت لذلك لا تكبر من شأن صاحبه، ولا تقتضي له بالحذق والأستاذية وسعة الذرع وشدة المنة، حتى تستوفى القطعة وتأتي على عدة أبيات»[2].

والنص السابق يؤكد تخطي عبد القاهر الجملتين أو مجموعة الجمل إلى القطعة، فقد أومأ إلى أهمية دراسة «عدة أبيات» أو «قطعة شعرية» لكي نصدر حكمًا على هذا الشاعر أو ذلك، فمهد بذلك لمن أتى بعده أن يفصل القول في أقسام القصيدة ووسائل ترابطها.

حازم القرطاجني وحبك النص:

يعد حازم القرطاجني أول من وضع إطارًا تنظيريًّا لحبك النص، وإن كان هذا الإطار «إجماليًّا» على حد تعبيره، ولكنه «مقنع لمن له فكر يستدل به بما ذكر على ما لم يذكر»[3] وقد سبق حازم علماء النص بقرون عديدة حينما حدد الوحدة النصية الكبرى لمنطقة عمله - وهي الشعر - وقسمها إلى وحدات أصغر، وإن لم يستخدم مصطلحات علماء النص.

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٢٤٥.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٨.
(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦، ص ٢٩١.

القصيدة ← عدة فصول ← فصل(*) ← البيت

(الوحدة النصية الكبرى) (بيتان فأكثر) (الوحدة الصغرى)

فالقصيدة لدى حازم القرطاجني هي الوحدة النصية الكبرى ، وهي بدورها تكون من فصول ، وكل فصل من هذه الفصول مكون من عدة أبيات .

ومما يؤكد إدراكه للوحدة النصية الكبرى تشبيهه للقصيدة بأنها عقد مفصل(**) ، فالعقد هو الوحدة النصية الكبرى ، وفصوص هذا العقد هي فصول القصيدة الواحدة .

وقد بنى حازم القرطاجني نظريته على أربعة قوانين تعد أعمدة في صرح الحبك لديه وهي كالتالي :

القانون الأول : في استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها .

القانون الثاني : في ترتيب بعض الفصول إلى بعض .

القانون الثالث : في تأليف بعض بيوت الفصل إلى بعض .

القانون الرابع : في وصل بعض الفصول ببعض .

ومن خلال القوانين السابقة يمكننا تقسيم الإطار التنظيري لمحور الحبك لديه إلى :

أ- الحبك على مستوى الفصل .

ب ـ الحبك على مستوى الفصول .

(*) يتضح مفهوم الفصل لدى حازم القرطاجني أثناء تحليله لرؤوس فصول قصيدة للمتنبي ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٢٩٨-٣٠٠ .

(**) يبرز القرطاجني الأهمية البالغة لتقسيم القصيدة إلى فصول ـ وهو يضع نفسه بذلك موضع المتلقى لما في ذلك من استراحة للنفس واستجداد للنشاط عن طريق الانتقال من فصل إلى آخر، انظر : منهاج البلغاء ، ص ٢٩٦.

أولاً : الحبك على مستوى الفصل

وأخص بالذكر في هذا المضمار القانون الأول ، والقانون الثالث ، لأنهما يدوران حول الحبك على مستوى الفصل .

فالقانون الأول : في استجادة مواد الفصل وانتقاء جوهرها .

فلكي تتسم أبيات الفصل الواحد بالحبك لا بد أن تكون « متناسبة المسموعات والمفهومات حسنة الاطراد غير متخاذلة النسج غير متميز بعضها عن بعض التميز الذي يجعل كل بيت منحاز بنفسه لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية يتنزل بها منه منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر »[1] .

ومضمون هذه العبارة يؤكد أسبقية القدماء ، ذلك لأنهم قد أشاروا إلى أن النص يعد نسيجًا ، والنسيج في الأصل مكون من خيوط تأخذ شكل السداة واللُّحمة ، ولكن حينما تصبح هذه الخيوط نسيجًا ، لا يمكننا تمييز السداة من اللُّحمة ، وهكذا القصيدة ، فمتى أحكم حبك الفصل فيها صعب علينا تمييز انفراد البيت وعزله عن الفصل الذي ينتمي إليه ، فنرى البيت تلو البيت وكأنه بنية متضامة .

وهناك عاملان آخران يشتركان في زيادة هذا الحبك :

(أ) « أن يكون نمط نظم الفصل مناسبًا للغرض ، فتعتمد فيه الجزالة على الفخر مثلاً والعذوبة في النسيب .

(ب) وأن تكون الفصول معتدلة المقادير بين الطول والقصر . وتقصير الفصول سائغ في المقطعات والمقاصد التي يذهب بها مذهب الرشاقة ، وتطويلها مستثقل في ذلك . فأما القصائد المطولة والمقاصد التي يذهب فيها

---

(١) منهاج البلغاء ، ص ٢٨٨ .

مذهب التهويل والتفخيم ، فإن تطويل الفصول سائغ ومحتمل فيه لموافقته مقصد الكلام وكون القصيدة فيها رحب لذلك وسعة»[1] .

ويتضح من العبارة السابقة مراعاة القرطاجني لمبدأ «لكل مقام مقال» ، ومراعاته لحال المتلقي وأثر العوامل السابقة عليه .

أما القانون الثالث فهو خاص بتأليف بعض بيوت الفصل إلى بعض ، ويفصل القرطاجني القول فيه حول مجموعة العوامل الواجب توافرها في رأس البيت حتى يتسم الحبك مع سائر أبيات الفصل ومع الفصل الذي يسبقه والفصل الذي يليه فيقول :

١- يحسن أن يصاغ رأس الفصل صيغة تدل على أنه مبدأ فصل .

٢- يشترط في هذا المذهب أن يكون لمعنى البيت مع كون أوله مبدأ كلام ومصدرًا بكلمة لها معنى ابتدائي أن يكون لمعنى البيت علاقة بما قبله ونسبة إليه .

٣- ويجب أن يردف البيت الأول من الفصل بما يكون لائقًا من باقي معاني الفصل مثل :

- أن يكون مقابلاً له على جهة من جهات التقابل أو بعضه .

- أو يكون مقتضى له مثل أن يكون :

مسببًا عنه أو تفسيرًا له أو محاكي بعض ما فيه ببعض ما في الآخر ، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي أكثر من شيء آخر وكذلك الحكم في ما يتلى به الثاني والثالث إلى آخر الفصل»[2].

وقد ذكر في موضع سابق أنه «يجب أن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله

---

(١) منهاج البلغاء ، ص ٢٨٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ ، ٣٩٠ .

وإن تأتَّي مع هذا أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل الذي له نصاب الشرف كان أبهى لورود الفصل على النفس»[1].

وتجدر الإشارة إلى أن حازم القرطاجني قد عبر في العامل الأول والعامل الثالث اللذين اقترحهما لحبك بيوت الفصل الواحد بلفظي (يحسن ويجب) أي أنها ليست شروطًا مسبقة تُفرض على النص من الخارج ، ولكنها اقتراحات أو استخدامات تسهم في حبك النص ويمكن للمبدع أن يستبدل بهما ما يراه مناسبًا لذلك .

ومن هناك قال حازم «أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر»[2] أما حينما تحدث عن علاقة بداية الفصل بما قبله وما بعده فقد استخدم الفعل (يشترط) مؤكدًا على الوحدة العضوية للقصيدة[*] ، ومبدأ الحبك القائم بين فصولها ، وفي الوقت نفسه يكون المعنى الموجود في بداية الفصل هو عمدة معاني الفصل .

ثانيًا : الحبك على مستوى الفصول

بعد أن عرض حازم القرطاجني للحبك على مستوى أبيات الفصل الواحد، انتقل للحديث عن الحبك بين فصول القصيدة الواحدة .

(١،٢) منهاج البلغاء ص ٢٨٩ .

(*) إن إشارة القرطاجني السابقة تعد اعترافًا وتقريرًا من بلاغي وناقد قديم بأن القدماء كانوا على وعي كامل بمفهوم الوحدة العضوية للقصيدة لأنها كانت تتسم بذلك بحق، ومن ثَمَّ تسقط التهمة الجائرة التي ألصقها بعض المحدثين بالقصيدة العربية القديمة وهي : فقدانها للوحدة العضوية ، والحقيقة أنهم فقدوا عمق الفهم الذي يؤهلهم لاستنباط العلاقات الضمنية القائمة بين فصول القصيدة الواحدة ، ولمزيد من التفاصيل انظر :

(أ) الإبداع الموازي ، الدكتور محمد حماسة ص ١٧٧-١٩٠ .

(ب) الجملة في الشعر العربي ، الدكتور محمد حماسة ص ١٩٤-١٩٦ .

ويخصص لذلك القانون الثاني ، والقانون الرابع .

فالقانون الثاني : في ترتيب الفصول والموالاة بين بعضها وبعض ، فيرى حازم أنه يحسن :

(أ) أن يكون ترتيب الفصل مرتبطًا بالغرض المقصود من الكلام فيقدم (الأهم فالأهم) على حد تعبيره «ويكون ذلك متأتيًا فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدأ»[1].

ومع هذا قد يترك هذا القانون في الترتيب متى دعت الحاجة إلى تقديم غير الأهم على الأهم .

(ب) ويفضل حازم تقديم الفصول القصار على الفصول الطوال .

أما القانون الرابع فيتصل بـ (وصل بعض الفصول ببعض) ، وقد قسمه إلى أربعة أضرب :

١- ضرب متصل العبارة والغرض .

٢- ضرب متصل الغرض منفصل العبارة .

٣- ضرب منفصل الغرض متصل العبارة .

٤- ضرب منفصل الغرض والعبارة .

فأما الضرب الأول «فهو الذي يكون فيه لآخر الفصل الذي يتلوه علاقة من جهة الغرض وارتباط من جهة الإسناد والربط»[2] أي أن براعة المبدع في سبك ظاهر النص قد ظهرت في محور الحبك ، فالمبدع قد أحكم ركني الإسناد والربط بين الفصلين ـ محور السبك ـ لذا ظهر ارتباط الغرض من جهة وارتباط العبارة من جهة أخرى ، ويتجلى لنا ثانية وعي القرطاجني التام بكون النص

---

(١) منهاج البلغاء ، ص ٢٨٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٠ .

نسيجًا يقوم على جودة السبك ودقة الحبك ، أي أن نجاح المبدع في إحكام الترابط الرصفي تبعه نجاح آخر في الترابط المفهومي .

أما الضرب الثاني فهو المتصل الغرض المنفصل العبارة :

ويعرفه حازم بأنه « هو الذي يكون أول الفصل فيه رأس كلام ، ويكون لذلك الكلام علاقة بما قبله من جهة المعنى »[1].

أي أنه ترابط على المستوى المفهومي فقط ، ويفضل القرطاجني في هذا المقام أن يبدأ الفصل بتعجب أو دعاء أو غير ذلك ، حتى لا يشعر المتلقي برتابة في نظم القصيدة لأن « النفوس تنشط ويتجدد نشاطها بإشعارها الخروج من شيء إلى شيء واستئناف كلام جديد لها »[2].

ويشير في نهاية حديثه عن هذا الضرب إلى أنه « قد يقرن الحرف الرابط بهذا النحو فلا يغض من طلاوته ولا ينقص مما تجده النفس من حلاوته »[3].

أي أنه ترابط مفهومي بين الفصول ، وقد تتدخل بعض وسائل السبك لإظهار هذا الترابط ، ومن هذه الأدوات : حروف الربط .

ويرى حازم القرطاجني أن الضرب الثالث ، وهو ما كان « منفصل الغرض متصل العبارة » أنه منحط عن الضربين اللذين قبله »[4].

أما الضرب الرابع والأخير « هو الذي لا توصل فيه عبارة بعبارة أخرى ولا غرض بغرض مناسب له ، بل يهجم على الفصل هجومًا من غير إشعار به مما قبله ولا مناسبة بين أحدهما والآخر ، فإن النظم الذي بهذه الصفة مشتت من كل وجه ، وإنما تسامح بعض المجيدين في مثل هذا عند الخروج من نسيب إلى مديح . وربما فعلوا ذلك عند خروجهم منه إلى الذم »[5].

(١-٥) منهاج البلغاء ، ص ٢٩١ .

ونخلص مما سبق إلى أن القرطاجني يؤثر الفصول المتصلة الغرض المنفصلة العبارة ، انطلاقًا منه للبحث عن المعنى العميق أو المعنى الثاني ، وليس المعنى السطحي الذي يعطي نفسه للمتلقي مباشرة ، ويلي ذلك في الأهمية الفصول المتصلة العبارة والغرض ، على حين يغض الطرف عن العلاقات المهلهلة غير المتشابكة التي تفقد القصيدة تماسكها فتصبح كالعقد المنفرط !

نماذج للعلاقات بين الفصول :

بعد عرض القرطاجني للأنماط الأربعة لوصل بعض الفصول ببعض ، يقدم لنا بعد ذلك نماذجًا لهذه العلاقات وهي :

١- علاقة الجزء والكل / والخاص والعام :

تعد علاقة الجزء والكل من العلاقات التي أولاها حازم القرطاجني اهتمامًا كبيرًا ، نظرًا لأهميتها في حبك علاقات فصول القصيدة .

فـ « من القصائد ما يكون اعتماد الشاعر في فصولها أن يضمنها معاني جزئية تكون مفهوماتها شخصية ، ومنها ما يقصد في فصولها أن تضمن المعاني الكلية التي مفهوماتها جنسية أو نوعية ، ومنها ما يقصد في فصولها أن تكون المعاني المضمنة إياها مؤتلفة بين الجزئية والكلية »[1] .

أي أن فصول القصيدة الواحدة يمكن أن تضمن :

أ- المعاني الكلية .

ب ـ المعاني الجزئية .

ج ـ المزاوجة بين المعاني الكلية والمعاني الجزئية .

---

(١) منهاج البلغاء ، ص ٢٩٥ .

ويؤكد حازم القرطاجني أن المزاوجة بين المعاني الجزئية والمعاني الكلية من أفضل الوسائل في حبك النص ، وذلك لأن المزاوجة تسبب استجمامًا للنفوس - على حد تعبيره - ولا يكتفي حازم بذلك بل يقترح أن « تصدر الفصول بالمعاني الجزئية وتردف بالمعاني الكلية على جهة تمثل بأمر عام على أمر خاص أو استدلال على الشيء بما هو أعم منه أو نحو ذلك »[1] .

٢- التسويم :

ويعني به براعة الشاعر في استهلال الفصل بمعنى أن يكون هذا الاستهلال مفتاحًا لسائر أبيات الفصل ، لما في ذلك من تهيئة وإيقاظ لذهن المتلقي ، فمتى « اطرد الشعر أن تكون فواتح فصوله على هذه الصفة واستوثق له الإبداع في وضع مباديها على أحسن ما يمكن من ذلك صارت القصيدة كأنها عقد مفصل »[2].

ويتضح من النص السابق إدراك حازم القرطاجني لمفهوم الحبك ، ومفهوم البنية النصية الكبرى ، وذلك من خلال تشبيهه للقصيدة بالعقد المفصل ، فوجه الشبه بينهما يمكن في دقة الصياغة وبراعتها .

وتأتي بعد ذلك أولى محاولاته التطبيقية على نص كامل ، وهي قصيدة للمتنبي مطلعها :

أَغالِبُ فيكَ الشوقَ ، والشوقُ أغْلَبُ وأعْجَبُ مِن ذا الهَجْرِ ، والوَصْلُ

ويبرز القرطاجني من خلال فصول هذه القصيدة براعة المتنبي في التسويم وأثر ذلك على تماسك بنية القصيدة[*].

٣- التحجيل :

ويعني به تذييل « أواخر الفصول بالأبيات الحكمية والاستدلالية »[3].

---

(١) منهاج البلغاء ، ص ٢٩٥ .
(٢) المرجع السابق ، ٢٩٧ .
(*) انظر : منهاج البلغاء ، ص ٢٩٨-٣٠٢ .
(٣) منهاج البلغاء : ص ٣٠٠ .

ولا يخلو تذييل الفصل من أن يكون متضمنًا لمعاني الأبيات التي سبقته في نفس الفصل فيكون «منحوًّا به منحى التصديق أو الإقناع ، مقصودًا به إعطاء حكم كلي»[1] .

ويرى حازم القرطاجني أن فصول القصيدة متى ذيلت تذييلاً محكمًا زادت بذلك الفصول بهاء وحسنًا ووقعت من النفوس أحسن موقع .

وقد برع زهير بن أبي سلمة في هذا المضمار ، وتلاه المتنبي في ذلك ، بيد أن الاستكثار في هذا الفن من الصنعة يؤدي إلى التكلف وسآمة النفس ، ومن ثَمَّ تحسن المراوحة بين هذا وذاك .

وبعد عرض هذه الأفكار أستطيع أن أؤكد أن حازم القرطاجني قد سبق علماء النص بقرون ، فقد وضع منهجًا متكاملاً لحبك القصيدة الشعرية ، وصاغ مفردات هذا المنهج بدقة وإحكام ، موضحًا هذا المنهج بمثال تطبيقي وهو : قصيدة المتنبي .

* * *

(١) منهاج البلغاء : ص ٣٠٠ .

المبحث الثاني

نظرية علم النص في الدرس الحديث

من نحو الجملة إلى نحو النص ... إطلالة تاريخية :

شهد القرن العشرون تطوراً سريعًا لمجال علم اللغة الوصفي «فقد ركز اللغويون الأمريكيون عنايتهم على التحليل الشكلي عن طريق عمليات ومفاهيم وصفية بشكل موضوعي ، وهو ما كان بلومفيلد قد ألح على وجوبه ، وكانت الوحدتان الأساسيتان للوصف هما الفونيم الذي وُسِّع فيما بعد ليشمل كل الظواهر الصوتية المميزة ، والمرفيم وهو الوحدة الصغرى للتركيب القواعدي»[1] .

ولكن نقطة التحول في مجال علم اللغة في هذا القرن اقترنت بكتاب تشومسكي (التراكيب النحوية Syntactic Structures) عام ١٩٥٧ ، والذي يتناول فيه ما سماه بالقواعد التحويلية للغة ، وقد ظهر في كتابه رفضه للمنهج البنيوي «لأنه لا يتحرك إلا على السطح اللغوي والذي يصبح فيه الإنسان بمثابة آلة تحركها قوانين حتمية خاضعة لظروف محددة»[2] .

وقد أسهمت عدة عوامل في نجاح ثورة تشومسكي منها ، حالة علم اللغة الأمريكي في منتصف الخمسينيات وإدراك بعض العلماء أن هذا العلم في أزمة»[3].

---

(١) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ر. هـ روبنز ، ترجمة دكتور أحمد عوض ـ عالم المعرفة ـ الكويت ـ العدد ٢٢٧ ، نوفمبر ١٩٩٧ ، ص ٣٣٦ .

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، دكتور محمد عبد المطلب ، ص ٥٧ .

(٣) تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه ، دكتور صبري إبراهيم السيد محمد ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩ ، ص ٣١ .

وقد واجهت بنائية بلومفيلد تحديات أخرى على يد فيرث Firth الذي وجه «اهتمامه بشكل أساسي على الفنلجيا من ناحية ، وإلى الدلالة من ناحية أخرى، وبصرف النظر عن الملاحظات المعزولة لم يقل إلا القليل في النحو والصرف ، وهذه المستويات من التحليل اللغوي قد شرع هاليداي في تناولها بعد وفاة فيرث»[1] .

ولم تخرج المحاولات السابقة بشكل عام عن إطار دراسة الجملة ، باعتبارها الوحدة الدلالية الكبرى في النص ، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى دراسة أنماط معينة من الجمل لدى المبدعين ، ولكن بعد عزلها عن سياقها ، منطلقين من القواعد التي وضعتها كتب النحاة إلى النص الأدبي وليس العكس!

وذلك على الرغم من أن الظاهرة الواحدة قد يختلف تأويلها باختلاف السياق الذي وردت فيه ، ومن أمثلة ذلك :

أننا يمكننا ترجمة جملة (كان أزرق اللون) إلى أية لغة دون الرجوع إلى السياق الذي وردت فيه ، والذي يعطيها بطبيعة الحال ـ معنى مختلفًا نحو :

«اشتريت دولابًا قديمًا ، كان أزرق اللون :

- نظر البحَّار باستحسان إلى السماء ، كانت زرقاء اللون .

- أخذت عينة من دم السائق ، كان أزرق اللون .

لذا ينبغي لفهم الجملة الأولى «كان أزرق اللون» ووصفها تحليل الجملة السابقة على الأقل»[2].

---

(١) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ر.هـ روبنز ، ص ٣٤٨ .

(٢) علم اللغة والدراسات الأدبية ، برنلشبلنر ، ترجمة دكتور محمود جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط أولى ١٩٨٧ ، ص ١٨٤ ، وانظر أيضًا :

١- تحليل دكتور محمد حماسة لظاهرة إشباع فتحة النون في الضمير (أنا) في الوصل التي وردت في شعر صلاح عبد الصبور بهذه الصورة ستًا وثلاثين مرة ، وفي كل مرة يختلف تأويلها باختلاف السياق الذي وردت فيه وذلك في كتابيه : --

الأمر الذي أدى في بعض الأحيان بنحاة الجملة إلى القول بأن (النحو مستقل) ، ومن ثَمَّ « تنشأ المشكلة الأساسية المترتبة على الالتزام المترف بمنهج الجملة المصنوعة حين يصير معيار الجمل الناتجة قائمًا على استبطان اللغوي لذاته ، فقد يؤدي (وحصل أن أدى في بعض المناسبات) إلى وضع يدعى فيه اللغوي أن (الأمثلة) التي يستعملها تمثل أنساقًا لغوية مقبولة لمجرد أنه يرى ذلك ، بسبب نظرته الاستبطانية »[1].

ومن هذا المنطلق أصبحت صور الجملة في النحو التحويلي من وجهة النظر العملية قالبية Modular إذ يجري توليد الجملة أول الأمر بوصفها نمطًا نحويًا ، ثم تجري لها بعد ذلك تفسير دلالي ، وأخيرًا يأتي ولو في بعض الصور على الأقل شرح النواحي التداولية Pragmatic Interpretation »[2].

فقد عجز نحو الجملة عن تقديم نظرية أو منهج يستخدم في تحليل العمل الأدبي ، ومن ثَمَّ دعت الحاجة إلى نشأة منهج ذي « وسائل بحثية مركبة ، تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة »[3] ويكون النص فيه هو الوحدة الدلالية الكبرى ، فنشأ علم النص Text Grammar .

-- ٢- الإبداع الموازي ، ط دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٤٠-٤٤ .

٣- ظواهر نحوية في الشعر الحر ، ط دار غريب ٢٠٠١ ، ص ١٠٧-١١٦ .
وقد نبه الدكتور البدراوي زهران إلى التفات الجرجاني إلى سياق الحال ومقام الاستعمال : انظر : عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني دكتور البدراوي زهران دار المعارف ط الرابعة ١٩٨٧، ص ٢٦٣ ، ٢٦٤.

(١) تحليل الخطاب ، ح . ب براون ، ج. بول ، ترجمة وتعليق دكتور محمد لطفي الزليطي ، دكتور منير التريكي ، ط جامعة الملك سعود ١٩٩٧ ، ص ٢٦ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ١٢٧ .

(٣) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ، دكتور سعد مصلوح ، بحث ضمن الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكراه الثانية ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ ، ص ٤٠٧ .

علم النص :

يرى معظم الباحثين أنه «لم يبدأ اتجاه نحو النص في أن يفرض وجوده إلا مع بدايات النصف الثاني من هذا القرن حين نشر زيلج هاريس Zellig Harris دراستين اكتسبتا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة تحت عنوان : تحليل الخطاب Discourse Analysis»[1] .

ولكن هناك «دراسات سابقة على أعمال زيلج هاريس Z. Harris يمكن أن تعد بحق البدايات الفعلية في تحليل الخطاب ، وهذه الدراسات قدمت بعض الأفكار النصية الجوهرية ، ولكنها كانت متناثرة ومحدودة بشكل لا يسمح بتتابعها بدقة»[2] .

ومن هؤلاء (فايل) ١٨٨٧ ، الذي علق تتابع اللفظ على تتابع الأفكار ، وقد استفاد النقاد من أفكاره في دراسة النص الشعري[*] .

وأيضًا الباحثة الأمريكية (I . Nye) التي أشارت في أطروحتها للدكتوراه ١٩١٢ ، إلى الربط والتكرار بناء على أسس نصية بوصفها من الأشكال المحددة للعلاقات»[3] .

الأسباب الداعية لنشأة علم النص :

١- فطنة المشتغلين بعلوم اللسان إلى أن اللغة ليست مجرد نماذج وأنماط للجمل ، وأن الفهم الحقيقي لها لا يمكن أن يتحقق باجتزاء الجمل من سياقها .

---

(١) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص دكتور سعد مصلوح ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، دكتور سعيد حسن البحيري ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط أولى ١٩٩٧ ، ص ١٨ .

(*) وقد سبقه لذلك بقرون عبد القاهر الجرجاني حينما ذكر أنك في الأصل تطلب المعنى، ومتى ظفرت به وجدت اللفظ أمام ناظرك ، انظر ص ١٩ من هذا البحث .

(٣) علم لغة النص ، دكتور سعيد البحيري ، ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٩٠ .

٢- الصيغة الانطباعية التي ظهرت في دراسة النصوص حينما انتقلت إلى علوم الاجتماع والأنثربولوجيا .

٣- العلاقة الوثقى التي تربط بين اللسانيات والدرس الأدبي ، فالقواعد النحوية التي صاغها القدماء كانت مستقاة في الأصل من النصوص الأدبية ، والعجيب أن هذه القواعد نفسها هي التي اتهمت من قِبَل بعض الباحثين بالجمود ، ولكن هذا الاتهام يرتد على قائليه ، ذلك لأنهم انطلقوا من القواعد ليعمموها على كل النصوص ، وإن لم تنطبق على نص ما - وهذا ما حدث بالفعل - وجهوا إليه تهمة الجمود ، وتغافلوا عن أن لكل نص سياقه الخاص به.

ومن ثَمَّ دعت الحاجة لعودة الصلة الوطيدة بين الدرس اللغوي والدرس الأدبي كما كانت في الدرس القديم .

٤- إن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي تصل بنا إلى «هم أمثل لظاهرة اللغة ، لأن الناس لا تنطق حين تنطق ، ولا تكتب حين تكتب جملاً أو تتابعًا من الجمل ، ولكنها تعبر في الموقف الحي عما تريد من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين .

٥- إن كثيرًا مما وصف بالشذوذ في قواعد اللغة يمكن أن نجد له تفسيرًا مقنعًا في نحو النص ، كما أن كثيرًا من الظواهر التي تستعصى على الوصف في اللسانيات المعاصرة يمكن أن تعالج أو تصاغ بطريقة أفضل إذا وصفت من جهة العلاقات القائمة بين الجمل في نص يتصف بالتماسك

وانطلاقًا من الأسباب السالفة أصبح نحو النص عند كثير من اللسانيين المعاصرين ضرورة لا اختيارًا»[1].

---

(١) العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ، دكتور سعد مصلوح ، ص ٤١٠ .

بين الخطاب والنص :

قبل أن نلج في تعريفات النص ، أود في البداية أن أتعرض لمفهوم الخطاب ومفهوم النص ، فنرى أن من علماء النص من يستخدم مصطلح النص كمرادف لمصطلح الخطاب فـ « النص يظل على كل الأحوال متلاحمًا مع الخطاب وليس النص إلا خطابًا »[1] .

وهذا ما دفع إحدى الباحثات إلى أن تقول إن « ما سنقوله عن النص ينطبق على الخطاب »[2] وبعضهم يطلق مصطلح الخطاب على الكلام الشفهي ، أما النص فيطلق على العمل المكتوب .

ومنهم من يفرق بين النص والخطاب ، وبين عالم النص وعالم الخطاب مثل روبرت دي بوجراند الذي يرى أن « الصفة المميزة للنص هي استعماله في الاتصال ، وأن الخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة ، أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق، وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان في الذاكرة من خلال استعمال النص ».

فإن عالم الخطاب هوجملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما »[3].

---

(١) بحث بعنوان (نظرية النص) لبارت ، ضمن كتاب : آفاق التناصية المفهوم والمنظور ، ترجمة : محمد خير البقاعي ، سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٨ ، ص٣٦.

(٢) بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية) ، مريم فرنسيس ، منشورات وزارة الثقافة بسوريا ١٩٩٨ ، ص ٤ .

(٣) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ص٦ ، ويضرب دكتور تمام حسان (مترجم الكتاب) مثالاً توضيحيًا لهذه العبارة بما كان يدور في مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد بالقاهرة في سبتمبر ١٩٩٤ ، إن الكلمة التي ألقاها الرئيس الأسبق محمد حسني مبارك في افتتاح المؤتمر نص لأنها قيلت على نية الاتصال ، أما عالم هذا النص فهو جملة المفاهيم التي نقلتها هذه الكلمة إلى المستمعين والأفكار التي --

وأرى أن هذا الخلط يرجع إلى محاولة علماء النص وضع نظرية تصلح لتحليل اللغة الأدبية واللغة غير الأدبية ، ولكنني في هذا البحث أستخدم مصطلح النص ، غير مميزة بينه وبين الخطاب لأنهما من وجهة نظري مترادفان ، ما دمنا نتحدث عن اللغة الأدبية .

تعريف النص :

يعد تعريف النص من أكثر المناطق خلافًا في نظرية علم اللغة النصي ، نظرًا لاختلاف الأسس المعرفية التي ينطلق منها كل تعريف ، فمنها :

١- المعايير اللغوية :

بدأت الإرهاصات الأولى لتعريف النص منطلقة من النحو التحويلي ، وذلك في إطار « فرضية التوسع » ، فانتقلت الدراسة المقصورة على الجملة إلى تحليل أزواج من الجمل »[١] وبناء على هذا عرف برينكر Birnker وايزنبرج Isenberg النص بأنه « تتابع مترابط من الجمل »[٢] ويؤكد « توماس بالمر (١٩٧٥) أن النصوص ليست أكثر من تتابعات من الوحدات الصرفية جيدة السبك يمكن علاجها بتوسيع (نحو الجملة) بواسطة وحدات صرفية ترقيمية »[٣] .

--كانت مختزنة في أذهانهم فنشطتها هذه الكلمة بعد هدوئها ... فإذا رجعنا إلى النصوص التي التزم بها الرئيس الأسبق حسني مبارك بمطابقتها سواء في إطار الدين أو القانون بالإضافة إلى ما ورد في وسائل الإعلام من اتفاق واختلاف فإننا عندئذ في مواجهة ما يدل عليه مصطلح (الخطاب) أي مجموعة النصوص التي يربط بينها مجال معرفي واحد ، أما عالم هذا الخطاب فهو جملة الهموم المعرفية التي جرى التعبير عنها في هذا الإطار ، النص والخطاب والإجراء ، ص ٦ .

(١) مدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج هانيه ، ترجمة دكتور فالح بن شبيب العجمي ، ط جامعة الملك سعود ، ١٩٩٩ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) علم اللغة والدراسات الأدبية ، برند شبلنر ، ص ١٨٨ .

(٣) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص١٠٢، وفي هذا الإطار يرى دي بوجراند أن هذه التعريفات : --

(يعرف هاليداي ورقية حسن النص بأنه «وحدة دلالية : وحدة ليست في الشكل بل في المعنى»[1] وإن رأى أحد الباحثين[*] في التعريف السابق تعارضًا مع إشارتهما إلى أن ظهور «الروابط الأداتية بين الجمل أكثر وضوحًا ، لأنها المصدر الوحيد لخاصية النصية»[2] ولكنني أرى أن بين الإشارتين تكاملاً، لأنها محاولة توفيقية منهما بين جانب النحو وجانب الدلالة ، فهما يبرزان دور الأدوات الموجودة بين الجمل في عملية الربط من خلال سياق معين ، هذا السياق هو الذي يعطي الأداة معناها ، ومن ثَمَّ تتعدد المعاني الدلالية للأداة الواحدة .

وفي ضوء الإشارة السابقة يمكننا فهم تعريف هارفج للنص بأنه :

«وحدات لغوية متتابعة مبنية بسلاسل إضمار متصلة»[3] .

فهو يعني بذلك أن الضمائر (وسيلة نحوية) تستخدم لغرض (دلالي) وتعد من أبرز وسائل تماسك النص ، ولهذا ذكرت جوليا كرستيفا أن «وصفًا وضعيًا للطابع النحوي (التركيبي أو الدلالي) ، أو اللانحوي ليس كافيًا لتحديد خصوصية النص كما نقرأه هنا . فدراسة النص تتطلب تحليل الفعل الدال ووضع المقولات النحوية نفسها موضع تساؤل»[4] .

-- ١- لا تكشف لنا عن نموذج مقبول للنشاط الإنساني .

٢- لا تصلح من الناحية العملية لأية مجموعة كبيرة من النصوص التي يعتد بها .

٣- لا تنظر نظرة واقعية إلى قضايا مثل : النصوص الشاذة ، والنص والخطاب والإجراء ، ص ١٠٢ .

(1) Cohesion In English M.A.K Halliday And Ruqaia Hasan Longman, London, 1976, p.2

(*) الدكتور : محروس السيد يوسف بريك ، في أطروحته للماجستير «المعنى النحوي الدلالي وأثره في تفسير النص وبيان تماسكه» دراسة نصية في المعلقات السبع ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤٤ .

(2) Ibid. P. 9

(٣) مدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج هانيه ، ترجمة : فالح بن شبيب العجمي ، ص٢٧.

(٤) علم النص ، جوليا كرستيفا ، ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط الثانية ١٩٩٧ ، ص ١٤ .

وقد عرفت جوليا كرستيفا النص من قبل بأنه «جهاز لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعًا الحديث التواصلي ، ونقصد المعلومات المباشرة ، في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة»[1] .

ويرى الدكتور صلاح فضل «أن الخاصية الأولى لتحديد النص هي «الاكتمال»، وليس الطول أو الحجم المعين ، ... وقد تستخدم في هذا المجال فكرة (انغلاقه على نفسه) كمحور لتحديد هذا الاكتمال لا بمعنى عدم قبوله للتأويلات المختلفة ، وإنما بمعنى اكتفائه بذاته ، فيصبح النص هو (القول المكتفي بذاته والمكتمل في دلالته) وما لا يحقق هذا الشرط ـ مهما كان طوله ـ لا يُعتبر نصًّا»[2] .

وإن كنت أرى في مقولتي (الاكتمال) و(انغلاق النص على نفسه) شيئًا ليس بقليل من الإبهام ، فمن الذي سيحدد اكتمال النص المبدع أم المتلقي ؟

إضافة إلى أن تعبير (انغلاق النص على نفسه) يعني في النقد الحديث : غموض بعض النصوص الأدبية ، وصعوبة فك شفرتها وإيجاد مفتاحها إلا على يد مبدعها ، فكيف نعمم مصطلح غامض ونحن نقوم بتعريف مصطلح آخر جديد وهو (النص) ؟

وأختتم هذا المعيار بتعريف يعد من وجهة نظر الباحثين أكثر التعريفات فهما لطبيعة النص الأدبي واستثمارًا حقيقيًّا للقديم والحديث معًا ، وهذا التعريف للدكتور «محمد حماسة عبد اللطيف» الذي يرى فيه النص «وحدة متلاحمة من صورته المنطوقة ، ونظامه النحوي الذي يحكمه ، وصورته

---

(١) نظرية النص لبارت ، مقال مترجم ضمن كتاب (آفاق التناصية) ، ترجمة : محمد خير البقاعي ، ص ٣٧ .

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص ، دكتور صلاح فضل ، مؤسسة مختار (دار عالم المعرفة)، القاهرة ط أولى ١٩٩٤ ، ص ٢٣٢ .

المنطوقة هي (مفرداته) ، المصوغة في الجملة .... ونظامه النحوي هو الهيئة التركيبية التي توجد عليها هذه المفردات منظومة في الجملة»[1] .

أي أن «النص لا يمكن أن «يتنصص إلا بفتل جديلة من البنية النحوية والمفردات»[2] فهذا التعريف ينم عن وعي كامل بدور المحور الأفقي والمحور الرأسي في النص الأدبي. ويدرك خصوصية التعامل مع اللغة الأدبية واختلافها عن اللغة الإعلامية أو المألوفة[*] .

٢- اعتبار زاوية التلقي :

«لا شك أن وجود القارئ المتلقي في العملية الإبداعية أمر بدهي ، حيث تكون القراءة عملية إيجابية وليست مجرد حضور سلبي ، أي لابد من توازن حضوري بين الإبداع والقراءة ، ولا يكون هذا الحضور على أساس الرغبة فحسب ، بل لابد من مراعاة الاحتياج ، فالرغبة والاحتياج يكونان في وعي المبدع بشكل لازم»[3] .

ومن هذا المنطلق يسقط اعتراض بعض الباحثين على تعريف «هاليداي ورقية حسن» للنص ، فهم يرون أن هذا التعريف قد أغفل جانب التلقي ، ومن ثَمَّ قاموا بإدراجه في تعريفهم للنص ومن هؤلاء الباحثين : «براون ويول» فهما يذكران أن المتلقي يتعامل مع اللغة المعروضة عليه بهذه الطريقة مع أنها تمثل

---

(١) النحو والدلالة ، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار الشروق ط أولى ٢٠٠٠ ، ص ١٦١ ، ١٦٢.

(٢) اللغة وبناء الشعر ، دكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠١، ص٩ .

(*) يتضح من تعريف الدكتور محمد حماسة القراءة الواعية للتراث وبخاصة نصوص سيبويه المضيئة في كتابه ، والتي اهتدى بها الجرجاني إلى علم معاني النحو ووصل به لدائرة اللطف والمعنى الأول والمعنى الثاني .

(٣) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، دكتور محمد عبد المطلب ، ص ٢٢٥ .

«نصًّا» ، لهذا لا نرى فائدة في تحديد عدد من الخصائص النحوية الأساسية التي لا بد أن تتوافر في النص حتى يكون النص «نصًّا» فالنصوص هي ما يعده المستمعون نصوصًا»[1].

وإن رأى بعض الباحثين في تعريف براون ويول إهمالاً للخصائص النحوية، ولكنني أرى أنهما لا يرفضان الجانب النحوي على إطلاقه[*] ، ولكن يرفضان القواعد المسبقة التي تفرض على النص من الخارج ، والأصل أن تستنبط من النصوص ، وذلك لأن كل نص له خصائص نحوية تخلق له سياقًا خاصًّا يختلف من مبدع لآخر ، والدليل على ذلك قولهما في موضع آخر «إن المعاني لا تكمن في الأدوات اللغوية المستعملة ، بل لدى المتكلم الذي يستعمل تلك الأدوات ويوظفها بشتى السبل لتحقيق مقاصده ونواياه»[2].

٣- اعتبار زاوية الاتصال :

وفي إطار تكوين النظرية حاول بعض علمائها توسيعها ، لتشمل مختلف أنواع النصوص ، الأدبية وغيرها ، فظهرت محاولات لدراسة التوظيف الاتصالي للنص .

ويظهر ذلك في أعمال كالماير Kallmeyer ١٩٨٠ ، حين عرف النص بأنه : «مجموع الإشارات الاتصالية التي ترد في تفاعل تواصلي»[3] .

وبناء على هذا التعريف ، فإن النص يشتمل على الإشارات الاتصالية اللغوية والإشارات الاتصالية غير اللغوية .

---

(١) تحليل الخطاب ، براون ، يول ، ص ١٠٠ .

(*) وقد قام براون ويول بتخصيص فصول ومباحث كاملة لدراسة الوسائل النحوية التي تسعى لتماسك النص ومنها : الإحالة ، انظر تحليل الخطاب ، ٢٢٧ .

(٢) تحليل الخطاب ، براون ، يول ، ص . هـ .

(٣) مدخل إلى علم اللغة النصي ، فولفجانج هانيه ، ص ٨ ، ٩ .

وقد عرفه (روبرت دي بوجراند ود ريسلر) بأنه :

حدث تواصلي Communicative Occurenc .

وبعد عرض التعريفات المختلفة للنص وما اعتراها من خلط بين اللغة الأدبية واللغة غير الأدبية ، أحدد منطقة عملي وهي : لغة النصوص الأدبية ، ومن ثَمَّ أعرف النص بأنه : « حدث لغوي مفتوح(*) ، ناتج من تضافر العلاقات الأفقية والعلاقات الرأسية للغة ، ويحتاج إلى الفهم والإصغاء» .

وأعني فهم الحركة الجدلية بين توافق الكلمات وتخالفها ، والإصغاء هو ضرب من التفاني في فهم هذه العلاقات .

معايير النصية :

اتفق علماء النص على سبعة معايير لتحقيق النصية ، أو ما يكون به النص نصًا وهي :

١- السبك Cohesion (**):

ويختص بأشكال العلاقات المتبادلة بين مكونات النص السطحي معتمدًا

(*) ومن خلال هذا التعريف أختلف مع الرأي القائل : إن «الجملة ذات معنى دلالي واحد لا عدة معان ، وينشأ ذلك المعنى من خلال علاقات الارتباط والربط الصحيحة نحويًا ودلاليًا ، انظر : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، دكتور مصطفى حميدة ، ص ٢٠٥ .

وأرى أن هذا الرأي مناهض لمرونة اللغة ، وسوف أطرح عليه سؤالاً إن كان ذلك كذلك ، فما فائدة تعدد القراءات القرآنية .

(**) ترجم الدكتور صبري إبراهيم السيد Cohesion إلى (تماسك ، تلاحم) ، وترجم Coherence إلى الترابط المنطقي (انظر) معجم مصطلحات العلوم اللغوية دكتور صبري إبراهيم السيد محمد الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، ط أولى ٢٠٠٠م ، ص ٢٢ .

وترجم الدكتور محمد العبد Cohesion إلى التماسك ، وترجم Coherence إلى التآلف ، انظر: اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة بحث في النظرية ، دار الفكر ، ط أولى ١٩٩٠ ، ص ٨٨ .

على العلاقات النحوية مثل : الإحالة (بالضمائر أو بأسماء الإشارة) والحذف والربط .

٢- الحبك Coherence :

وهو خاص بكيفية تآلف مكونات عالم النص فيما بينها والغرض من ذلك تنشيط عناصر المعرفة لإيجاد نوع من الترابط المفهومي ، ومن وسائله :

١- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص .

٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف .

٣- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية»[(١)].

٣- القصد Intentionality [(*)]:

ويبحث في موقف مبدع النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصًا يقوم بتوصيل أهداف معينة في ذهن المبدع .

٤- القبول Acceptability :

ويختص بمتلقي النص ومدى قبوله له .

٥- رعاية الموقف Situationality :

ويقصد بها المناسبة بين فكرة النص والموقف المعبر عنه .

٦- الإعلامية Informativity :

«وتختص بمدى توقع الأحداث المعروضة في النص أو عدم توقعها ،

---

(١) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : دكتور تمام حسان ، ص١٠٣ .

(*) ينبغي أن نفرق بين مفهوم القصد في النظرية الظاهراتية ، ومفهوم القصد في نظرية النص ، فالقصد في النظرية (الفلسفة) الظاهراتية يعني «القراءة التي تقوم على دمج وعينا بالنص ، وهذه حقيقة تاريخية تقوم على أساس التفاعل بين (فعل وبنية) ... فهي تحدد فعل الوعي وبنيته على أساس مبدأ القصدية» . انظر قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، دكتور محمد عبد المطلب ، ص ٢٢٥ .

والإحاطة بهذه الأحداث أو الجهل بها ، ولا بد لأي نص أن يكون إخباريًا على نحو أو آخر ، مهما كانت صورة الإخبار أو المضمون المعبر عنه»[1].

٧- التناص Intertextuality :

وذلك لأن «كل نص ليس إلا نسيجًا جديدًا من استشهادات سابقة»[2] .

والمعايير السابقة[*] يمكن تقسيمها إلى :

١ - ما يتصل بالمبدع والمتلقي : وهما معيارا القصد والقبول .

٢- ما يتصل بالسياق المحيط بالنص : الإعلامية والمقصدية والتناص .

٣- ما يتصل بالنص في ذاته وهما معيارا : السبك والحبك ، وسوف يقتصر البحث عليهما لأنهما أوثق صلة بالدرس اللغوي .

---

(١) اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ، دكتور محمد العبد ، ص ٨٨ .

(٢) مقال (نظرية النص) لبارت ، ضمن كتاب ، آفاق التناصية المفهوم والمنظور ، ترجمة : محمد خير البقاعي ، ص ٤٠ .

(*) وردت هذه المعايير في كتب القدماء ، ولكن في صورة إشارات متفرقة فعلى سبيل المثال : عولج مصطلح (التناص) تحت باب السرقات الأدبية ، وورد في إشارة علماء التفسير إلى أن (القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا) ، وعولجت (الموقفية) تحت باب مقتضى الحال .

ولمزيد من التفاصيل انظر :

١- موقف النقد العربي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية ، دكتور تمام حسان ، بحث ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي ط النادي الأدبي الثقافي بجدة ، المجلد الآخر ١٩٩٠) .

٢- اللغة العربية والحداثة ، دكتور تمام حسان ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، ج أول ، العدد الثالث ، ١٩٨٤ .

السـبك

اتفق علماء النص على أن النص «ليس تتابعًا عشوائيًا لألفاظ وجمل وقضايا وأفعال كلامية ، فالنص كل تحده مجموعة من الحدود تسمح لنا أن ندركه بوصفه كلاً مترابطًا بفعل العلاقات النحوية التركيبية»[١].

وهذه العلاقات النحوية هي منطقة عمل محور السبك Cohesion أي أنه يبحث في الإجراءات السطحية الناتجة عن إحكام علاقات أجزاء النص ، ويؤدي السابق منها إلى اللاحق ، ومن ثَمَّ فإن «فكرة التماسك ذات مفهوم دلالي ، تشير إلى العلاقات المعنوية الموجودة في النص والتي تحدده كنص ، ويتم التماسك حينما يعتمد تفسير بعض العناصر الموجودة في الخطاب على عناصر أخرى»[٢].

أهمية السبك :

أوضح علماء النص أهمية محور السبك ، فقد عدوه :

١- أحد سبل الوصول إلى الكفاءة النصية Textual Efficiency «من خلال صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من وسائل التعبير»[٣].

٢- وأن «علاقات التماسك في النصوص إنما يستغلها الكُتَّاب لتيسير القراءة والفهم على المتلقين»[٤].

---

(١) مبادئ في اللسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي ، ط دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦٩ .

(2) Cohesion in English. P. 4 .

(٣) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٢٩.

(٤) تحليل الخطاب ، براون ويول ، ص ٣٠ .

وسائل سبك النص :

يختص معيار السبك بمجموعة وسائل تسعى لتحقيق خاصية الاستمرارية في ظاهر النص Surfacetext ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي Grammatical Dependency ويتحقق بالاعتماد في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي :

١- الاعتماد في الجملة Intra-Sentential .

٢- الاعتماد فيما بين الجمل Inter-Sentential .

٣- الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة .

٤- الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات .

٥- الاعتماد في جملة النص»[١] .

ومن هذه الوسائل :

١- إعادة اللفظ Recurrence :

وهي التكرار الفعلي للعبارات ، ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي نفسها أو مختلفة الإحالة أو متراكبة الإحالة ويختلف مدى المحتوى المفهومي الذي يمكن أن تنشطه هذه الإحالات بحسب هذا التنوع .

٢- التعريف Definitness :

وهو المدى الذي يفترض عنده إمكان التعرف على طبيعة عالم النص بالنسبة لتعبير ما في نقطة بعينها ثم استعادة هذه الطبيعة في مقابل حالة ذكرها لأول مرة عند هذه النقطة»[٢] .

---

(١) نحو أجرومية لدراسة النص الشعري ، دكتور سعد مصلوح ، مجلة فصول (المجلد العاشر)، ١٩٩١ ، ص ١٥٤ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ص ٣٠١ .

٣- اتحاد المرجع Co-Reference :

ويقصد به استخدام عبارات مختلفة الدلالة ولكنها تعود على مرجع واحد داخل النص .

٤- الإضمار بعد الذكر Anaphora :

ويندرج تحت الإحالة المشتركة ويأتي فيه الضمير بعد مرجعه في النص .

٥- الإضمار قبل الذكر Cataphora :

ويندرج أيضًا تحت الإحالة المشتركة ويأتي فيه الضمير قبل مرجعه في النص .

٦- الإضمار لمرجع متصيد Exophora :

وهو الإتيان بضمير ليشير إلى أمر غير مذكور في النص ، ولكن يمكن التعرف عليه من خلال السياق ليربط بذلك بين عالم النص الداخلي والخارجي.

٧- الحذف Ellipsis :

ويقوم على استبعاد العبارات أو الكلمات التي يمكن أن تفهم من سياق النص .

٨- الربط Gunction :

« وهو يتضمن وسائل متعددة لربط المتواليات السطحية ببعضها بطريقة تسمح بالإشارة إلى العلاقات بين مجموعات من معرفة العالم المفهومي للنص »[1] .

وتختلف الوسائل السابقة من حيث تعريفها لدى بعض علماء النص ، وأرى أن (اتحاد المرجع ، والإضمار بعد الذكر ، والإضمار قبل الذكر ، والإضمار لمرجع متصيد) يندرج تحت مصطلح (الإحالة) .

---

(١) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ص ٣٠١ .

والوسائل السابقة لسبك النص لا تعد قوانينًا ملزمة ، وذلك لأن منهج نحو النص « لا يقدم القوانين على الاستعمالات بل يسعى إلى استخلاص واستقاء النتائج التي تجيزها الاستخدامات الفعلية دون غيرها ، ويعتمد على أغلب المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في نحو الجملة ، إذ يرتكز نحو النص عليها أيضًا ارتكازًا شديدًا إلى الحد الذي يستحيل معه الفصل بينهما ، غير أن تجاوز نحو النص حدود الجملة في التحليل يسمح بطرح إمكانات متعددة للفهم وفضاءات أرحب للتفسير »[1] .

---

(١) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، دكتور سعيد البحيري ، ص٧٧.

الحبـــك

إذا كان محور السبك يختص بالترابط الرصفي الظاهر على سطح النص ، فإن محور الحبك Coherence يعني بالترابط المفهومي .

ويرجع مصطلح Coherence إلى « الأصل اللاتيني Cahaerentia وهو مستعار من علم الكيمياء ويحده سوفنسكي بقوله « يقضي للجمل والمنطوقات بأنها محبوكة ، إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض ، في إطار نصي أو موقف اتصالي اتصالاً لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات »[1].

ويؤكد براون ويول أنه عن طريق هذه العلاقات المعنوية المندرجة تحت محور الحبك يمكننا « أن نعتبر أي مقطع منطوق أو مكتوب نصًّا »[2].

ومن وسائل حبك النص :

- الوصل بدون أداة .
- الإحالة الضمنية .
- ترتيب وقائع وأحداث النص التي تعتمد على عدة أحوال منها :
- العام ـ الخاص .
- الكل ـ الجزء .
- المجموعة ـ العنصر .

---

(١) حبك النص ، منظورات من التراث العربي ، دكتور محمد العبد ، مجلة فصول عدد ٥٩ ، ربيع ٢٠٠٢ ، ص ٥٥ .

(٢) تحليل الخطاب ، براون ويول ، ص ٢٣٣ .

- المتضَّمن ـ المتضِّمن .
- الخارج ـ الداخل [1].
- المحاجة .
- المفارقة[*] .

وسأفصل القول في هذه الوسائل في موضعها من البحث .

* * *

(١) النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، ط أفريقيا الشرق ، المغرب ، ١٩٩٩ ، ص ١٥٤ .

(*) اقترح علماء النص هذه الوسائل لترتيب وقائع الأحداث في النص وضربوا أمثلة لا تتعدى سطرًا أو سطرين ، بينما وضع حازم القرطاجني منهجًا متكاملاً في ترتيب أحداث القصيدة وفصولها وذلك قبل علماء النص يقرون ، انظر ص (٢٧-٣٦) من هذا الكتاب .

الفصل الثاني

السبك في نص عبقرية عمر

المبحث الأول

الإحالــة

تعريفها :

« هي العلاقة بين العبارات والأشياء Objects والأحداث Events والمواقف Situations في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي Alternative في نص ما »[1] .

والتعريف السابق يبين لنا أن الإحالة Reference علاقة في الأساس أي لابد لها من طرفين أو عدة أطراف، عنصر إحالي ومحال إليه، وكلما أحكمت هذه العلاقة ظهرت كفاءة النص، لأن النص آنذاك سوف يبدو لنا كأنه شبكة من العلاقات يفضي كل منها إلى الآخر .

أقسام الإحالة :

تنقسم الإحالة إلى قسمين :

١- الإحالة الخارجية Exaphora :

وهي إحالة لغير مذكور في النص ولكنها تعود لأمور مستنبطة من الموقف، معتمدة في ذلك على سياق الأحداث Context Of Events ، ومؤكدة على التفاعل المستمر بين اللغة والموقف[*].

---

(١) النص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند، ترجمة دكتور تمام حسان، ص٣٢٠.

(*) لمزيد من التفاصيل انظر المرجع السابق ، ص ٣٣٢-٣٣٩ .

٢- الإحالة الداخلية Endaphora :

وهي الإحالة إلى مذكور في النص ، وتنقسم إلى قسمين :

(أ) إحالة قبلية : Anaphora :

« وهي تعود على مفسر antecedent سبق التلفظ به »[١] .

(ب) إحالة بعدية : Anaphora :

وهي إحالة تؤول إلى مذكور تال لها في النص .

ويمكن تمثيل أقسام الإحالة كما يلي :

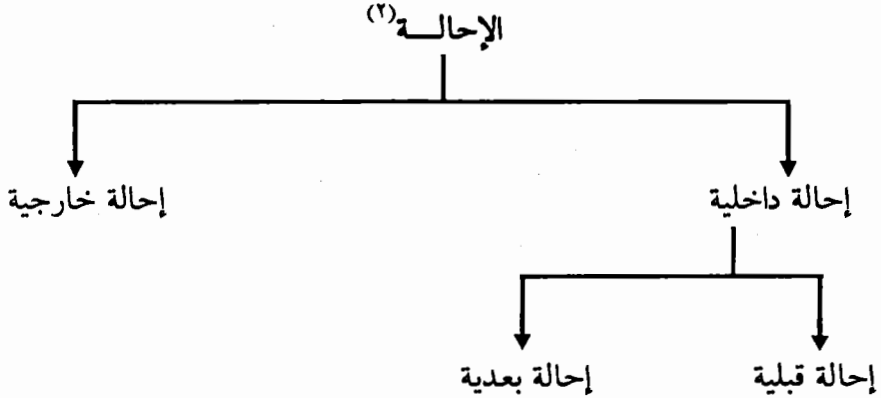

وقد قام أحد الباحثين في هذا المضمار بتقسيم الإحالة إلى ثلاثة أقسام :

١- إحالة إلى داخل اللغة . ٢- إحالة إلى خارج اللغة .

٣- إحالة نصية .

---

(١) نسيج النص ، الأزهر الزنـاد ، المركـز الثقـافي العـربـي ـ المغـرب ، ط أولى ١٩٩٣، ص١٩٩ .

(2) Cohesion English. P. 33.

ويعني بالثالثة « إحالة عنصر معجمي على مقطع من الملفوظ أو النص ، وتؤديها ألفاظ من قبيل : قصة ، خبر ، رأي ، فعل »[1] .

وأرى أن القسم الثالث وهو الإحالة النصية يندرج تحت (الإحالة إلى داخل النص) ، لأنها تشكل جزءًا من النص أي تقع بداخله وهي بدورها تنقسم إلى إحالة نصية قبلية وإحالة نصية بعدية .

- العناصر الإحالية : Anaphors :

وهي « قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب . فشرط وجودها هو النص ، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر وهي لذلك تتميز بالإحالة على المدى البعيد Cross - Reference »[2] .

ومن هذه العناصر :

أ- الضمائر . ب ـ أسماء الإشارة .

ويرى علماء النص أن الإحالة الخارجية تختص بها ضمائر الخطاب وضمائر التكلم ، بينما أرى أن ضمائر الغيبة تقوم بالإحالة إلى خارج النص أيضًا ، وسوف يتضح ذلك أثناء التحليل النصي للنموذج المختار .

- المدى الإحالي :

تنقسم الإحالة باعتبار المدى الفاصل بين العنصر ومفسره إلى قسمين :

أ- إحالة ذات مدى قريب : وتجري على مستوى الجملة والجملتين .

---

(١) نسيج النص ، الأزهر الزناد ، ص ١١٩ .
وانظر أيضًا : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دكتور صبحي إبراهيم الفقي ، ط دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠، ١/ ٣٨-٤١ .
(٢) نسيج النص ، الأزهر الزناد ، ص ١١٨ .

ب- إحالة ذات مدى بعيد : وتجري بين الجمل المتباعدة داخل النص .

- **أهمية الإحالة :**

بين علماء النص الدور البارز الذي تقوم به الإحالة في تماسك بنية النص خاصة أن « وظيفتها إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية »[1] .

ويمكننا إجمال أهمية الإحالة في النقاط التالية :

١- إن « العلاقات التي يقيمها النص بين المراجع هي جزء مهم في المضمون »[2].

٢- أنها قصر مما يشاركها في الإحالة .

٣- أنها خلو من أي معنى ذاتي .

٤- لها مدى واسع من حيث إمكان التطبيق .

٥- تخضع القيود على ورودها حتى لا يتحول الفهم إلى إشكال لا ضرورة له »[3].

ومع ذلك فإن بعض الباحثين يرون أن الإحالة الداخلية فقط هي التي تسهم في تماسك النص ، ولكن الإحالة الخارجية (لا تلعب دورًا في ترابط النص)[4].

وهذا الرأي ليس صحيحًا على إطلاقه ، فإن كانت الإحالة الخارجية لا تسهم بحال من الأحوال في التماسك الشكلي للنص فإنها تدخل في نطاق

---

(١) البيان في روائع القرآن ، دكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط الثانية ، ص ١٢٨ .

(٢) تحليل الخطاب ، براون ، يول ، ص ٢٤١ .

(٣) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٣٢.

(٤) تحليل الخطاب ، براون ، يول ، ص ٢٣٠ .

التماسك المضموني ، لأن عملية انتقال ذهن المتلقى من المعلومات المتاحة داخل النص إلى فضاء آخر خارج النص فيها إثارة لذهن المتلقي لاستحضار ما تدل عليه الإحالة الخارجية ، فمتى وجده عاد للنص تارة أخرى رابطًا بينه وبين سياق النص ، مقبلاً بذلك على مرحلة أعمق في فهم النص .

وبناء على ذلك يمكننا تعديل العبارة السابقة إلى أن (الإحالة الخارجية لا يظهر أثرها في سبك النص إلا بعد ربطها بالسياق الخارجي ، وإيجاد العلاقة بينه وبين عالم النص الداخلي) ، ومن ثَمَّ تظهر أهمية العلاقة بين السياق والإحالة ، فالأول ضرورة لفهم الثاني وتحديد مرجعه .

التحليل

وقد اخترت نموذجًا للتطبيق وهو الفصل الأول من العبقرية الموسوم بـ(عبقري) مستعينة بشبكة هاليداي ورقية حسن في كتابهما : Cohesion In Emglish وقمت بتقسيمها إلى ست خانات :

١- الخانة الأولى : لكتابة رقم الجملة في النص ، وقد اعتمدت على علامات الترقيم التي وضعها العقاد في النص دون التدخل فيها ، لأنني اعتبرها من خصوصيات الكاتب التي يضفيها على العمل الأدبي .

٢- الخانة الثانية : لعدد الروابط الإحالية التي وردت داخل الجملة الواحدة .

٣- الخانة الثالثة : للعنصر الإحالي (ضمير ، اسم إشارة) .

٤- الخانة الرابعة : لنوع الإحالة .

(أ) إحالة ضمير قبلية .

(ب) إحالة ضمير بعدية .

(ت) إحالة إشارة قبلية .

(ث) إحالة إشارة بعدية .

(ج) إحالة نصية .

(ح) إحالة خارجية (إلى خارج النص) .

٥- الخانة الخامسة : للمسافة الواقعة بين العنصر الإحالي والمحال إليه ، وذلك لتحديد نوع الإحالة ، هل هي إحالة على المستوى القريب ، أم إحالة على المستوى البعيد .

٦- الخانة السادسة : لتحديد المحال إليه»[١] .

وبعد عرض أنماط الإحالة الواردة داخل الفصل الأول من العبقرية أذكر أن الأصل في الربط أن يكون بإعادة اللفظ لأنها أدعى للتذكير والأكثر ضمانًا لعدم حدوث اللبس في الفهم لدى المتلقي ، بيد أن إعادة الذكر ليست مستساغة على إطلاقها وبناء على ذلك يلجأ الكاتب إلى وسائل أخرى مخافة الوقوع في هذا القبح ، ومن أبرز هذه الوسائل : الضمائر وأسماء الإشارة .

ولأن «الضمائر بصفة عامة راسخة القدم في حقل الافتقار والرتبة»[٢] فهذا ما يدفعنا إلى البحث عن المحال إليه وتحديده لتكتمل دائرة الفهم لدى المتلقي .

وقد اشتمل النموذج المختار على الإحالة بنوعيها :

أولاً : الإحالة الداخلية

وهي تنقسم بدورها إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية .

وقد يقع العنصر الإحالي والمحال إليه في نفس الجملة نحو قوله :

«فتعزيز الإسلام بعد نبيه كان في حاجة إلى كثير من الهوادة والمجاوزة» ص٩ ، ج ٥٠ فالهاء في (نبيه) عنصر إحالي يشير إلى محال إليه يقع في نفس الجملة وهو (الإسلام) أي أنها إحالة على المستوى القريب .

(١-٢) انظر : الجداول التحليلية ، ص ٧٢ - ٩٣ .

ولنتأمل أهمية الإحالة في المثال السابق من حيث كونها بديلاً عن التكرار ، فإذا افترضنا عدم وجود الضميرواستبدلناه بإعادة الذكر لصارت الجملة :

« فتعزيز الإسلام بعد نبي الإسلام كان في حاجة إلى كثير من الهوادة والمجاوزة » .

ويقوم الضمير بالربط بين جملتين في قوله :

« وقد كان عمر قوي النفس بالغًا في القوة النفسية ، ولكنه على قوته البالغة لم يكن من أصحاب الطمع والاقتحام »[1] .

فالجملة الثانية اشتملت على ثلاثة عناصر إحالية وهي :

الهاء في قوله (لكنه ، قوته) ، والضمير المستتر في (يكن) وتقديره (هو) ، وهذه الضمائر الثلاثة تحيل إلى (عمر) الواقع في الجملة الأولى ، رابطة بذلك الجملة الثانية بالجملة الأولى ، وهي أيضًا إحالة على المستوى القريب .

وتعد المطابقة بين العنصر الإحالي والمحال إليه التي ظهرت جلية في النموذج المختار للتطبيق ـ نوعًا من أنواع الربط التي يشتمل عليها النص .

وذلك لأن اشتراك العنصرين اللغويين في محور واحد من محاورها نوع من التصنيف يحمل في طيه دعوى ضمنية بانتماء كليهما إلى صنف واحد وارتباط أحدهما بالآخر بواسطة هذه الشركة »[2] .

واشتمل النموذج المختار للتطبيق أيضًا على الإحالة ذات المستوى البعيد ، ومن أمثلتها : أن الجمل من (ج٢٢ ، ج ٢٩) تحتوي على عدة عناصر إحالية

---

(١) البيان في روائع القرآن ، دكتور تمام حسان ، ١٣٧/١ .
(٢) المرجع السابق ١٥٩/١ .

ـ ضمائر الغيبة ـ تعود عى محال إليه واحد لم يتغير وهو (عمر) الواقع في الجملة رقم (٢١) :

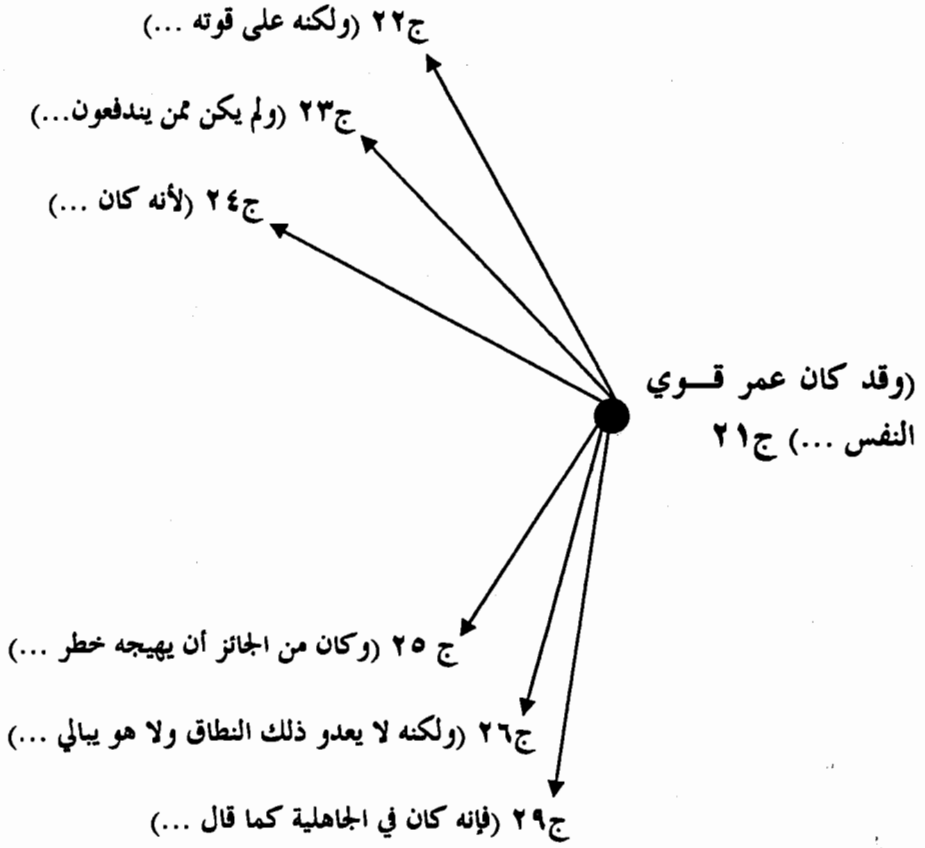

والإحالة السابقة ربطت بين عدة جمل تقع في فقرتين متتاليتين ، وزاد من قوة الربط أن المحال واحد لم يتغير وهو (عمر بن الخطاب) .

وتقوم أسماء الإشارة بوصفها عنصرًا إحاليًا يستخدم للإحالة على المستوى البعيد بدور كبير في تماسك أجزاء النص ، ويظهر ذلك لنا جليًا من خلال الإحالات الإشارية ومن ذلك قول العقاد :

«وهب الأمر مع هذا قد اختلف في موقف الصاحبين ...» ج٦٩ ، ص ١٠ .

فاسم الإشارة (هذا) يعد إحالة إشارية قبلية لنص يسبق هذه العبارة ، يتكون من ثلاث فقرات يبدأ من ج ٦٢ إلى ج ٦٨ ويمثله قول العقاد :

«وهذا الذي ظهر أعجب ظهور في موقف الصاحبين من حرب الردة . فإن عمر الشديد قد آثر الهوادة وأبا بكر الرفيق قد آثر القتال وأصر عليه . وكان عمر يقول : «إن رسول الله كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة يمده الله تعالى بهم وقد انقطع ذلك اليوم» ثم يقول للخليفة : «الزم بيتك ومسجدك فإنه لا طاقة لك بقتال العرب» .

وكان أبو بكر يقول متسائلاً : «أإن كثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب ؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون .... فكانت شدتهما في الحق شدتين» ص ٩ ، ص ١٠ .

وقوله أيضًا : «نقول هذا على الترجيح ومن حقنا أن نقوله على التوكيد» ج١٠٤ ، ص ١٢ فاسم الإشارة (هذا) يحيل إلى نص سابق له (الجمل من ٩٨: ١٠٣) ويمثلها قول العقاد : «وما وضع أبو بكر خيرًا من موضعه وهو يلي الإسلام والخطر من داخل أهله ، والطب الذي يطبهم به هو طب التآلف والإحجام عن السطوة ما كان إلى الإحجام عنها سبيل .

وما وضع عمر خيرًا من موضعه وهو يلي الإسلام والخطر عليه من أعدائه المحدقين به ، والطب الذي يطبهم به هو طب الصلابة والحزم الذي لا ينكل عن صراع . وكأنما توقع النبي أن أيام أبي بكر معدودات ولكنها الأيام التي تحتاج إليه وتكفي لإنجاز عمله وتوقع أن يأتي عمل عمر في حينه المقدور فلا يفوت الإسلام أن ينتفع بمقدرته في عهد أبي بكر ولا في عهده) . ص١٢ .

وبذلك ساعدت الإحالة الإشارية على تماسك النص من ناحية ، وعلى تنشيط ذهن المتلقي من ناحية أخرى ، وذلك عن طريق استدعائه للأحداث الواردة في الفقرات السابقة على (اسم الإشارة) .

وكلما كانت الإحالة الإشارية على مستوى بعيد في النص ، ظهر أثرها في تماسك النص .

ولعل أبرز مثال على ذلك قول العقاد في نهاية الفصل :

« وتلك هي عبقريته التي لا يفرى فريها أحد كما قال صاحبه وأعرف الناس به ، صلوات الله عليه» ص ١٢ ويبرز دور اسم الإشارة (تلك) ليشير إلى العبارة التي وردت في بداية الفصل :

« .... لم أر عبقريًّا يفرى فرية ...» .

كلمة قالها النبي عليه السلام في عمر رضي الله عنه ، وهي كلمة لا يقولها إلا عظيم عظماء ، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال» ص ٧ .

ويشير أيضًا إلى الأحداث التي عرضها العقاد داخل الفصل ، فاسم الإشارة (تلك) وضع الفصل بين «علامتي تنصيص» ليؤكد تماسكه .

وتكثر الإحالات النصية داخل العبقرية كثرة لافتة ، فلم تخل صفحة من الفصل المختار للتحليل من إحالة نصية ، وقد بلغ عددها ست إحالات ، وتؤديها كلمات من قبيل :

« قصة ، خبر ، رأي ، قال ، نص على ، ذكر ما يلي ...» .

وهذه الإحالات النصية تعد من « مصادر التدليل الأقوى سلطة التي تزيد من المصداقية »[1].

---

(١) النص الحجاجي العربي : دراسة في وسائل الإقناع ، دكتور محمد العبد ، مجلة فصول ، العدد ٦٠ ، صيف ـ خريف ٢٠٠٢ ، ص ٥٥ .

فالعقاد لكي يزيد من تماسك فكرته سعى للتدليل على صحتها بأقوال :

١- الرسول ﷺ .

٢- عمر بن الخطاب .

٣- أبو بكر الصديق .

وهكذا تضافرت أقسام الإحالة الداخلية لتماسك نص العبقرية .

الإحالة الخارجية :

قصر علماء النص الإحالة الخارجية على ضمائر التكلم وضمائر الخطاب ، وقد ظهر القسمان في عبقرية عمر . فمن أمثلة الأول قوله :

١- « فكل هذا التقدير الذي أجملنا شرحه كان تقدير قصد وتدبير »[١].

٢- « ونحن لا نقول إن عمر رضي الله عنه خلق بذهن عالم بحاثة منقطع للكشف والتنقيب »[٢].

٣- « ونذكر هذا وينبغي أن نذكره ولا ننساه »[٣].

٤- « فما رأيناه أنه عادل يفوق العدول »[٤].

ومن أمثلة الثاني :

١- « وهب الأمر مع هذا قد اختلف في موقف الصاحبين »[٥].

٢- « أتراها على كلا المعنيين شيئًا غير التفرد والسبق والابتكار »[٦].

٣- « وحسبك من غيرته أنه هو الذي أشار على النبي ﷺ بحجاب أمهات المسلمين »[٧].

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٢ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

٤- « ولكنك إذا نظرت إليها مركبة متناسقة فيبدو لك منها جانب الدهشة والإعجاز »[١].

٥- « أرأيت هذا الرجل الصارم قاسيًا قط إلا باسم واجب أو في سبيل واجب »[٢].

وقد اشتمل النموذج المختار للتحليل ـ هو فصل واحد فقط من فصول العبقرية ـ على أربعين إحالة خارجية ، مما يؤكد أن الإحالة الخارجية تسهم في إبراز العلاقة بين اللغة وسياق الموقف ، وبالتالي لا يقتصر دورها على حيز المراوحة بل يتعلق « بالهدف الخطابي على مستوى الإقناع ... لأن ما يحدث فيه (الالتفات) من انحراف للنسق أو انتقال في الإيراد الكلامي من صيغة إلى صيغة ليس انتقالاً استطراديًا مثلاً ، وليس تعليقًا طريفًا على ما قيل أو ما حدث ... وإنما ينحصر الأمر في بيان معنى على قدر كبير من الرهافة والخفاء »[٣].

وفي ضوء ما سبق تستطيع الباحثة أن تذكر أن الإحالة الخارجية في عبقرية عمر لم تخرج عن إطار الكاتب والمتلقي ، فهي تأخذ شكل المحاورة ، وهذا يؤكد حضور المتلقي في ذهن المبدع أثناء عملية الإبداع .

هذه المحاورة التي أدخلت المتلقي مع العقاد في حوار الهدف منه إقناع المتلقي بعبقرية الفاروق ، فظهر المتلقي وكأنه مشارك للعقاد في تلمس جوانب العبقرية في شخصية الفاروق واستنباطها ، فظهر المتلقي وهو الموجود بالقوة في ذهن الكاتب إلى متلق موجود بالفعل على صفحات العبقرية .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٤٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .
(٣) جماليات الالتفات ، دكتور عز الدين إسماعيل ، بحث من كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي ، المجلد الآخر ، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة (٥٩) ، ص ٩٠٥ .

وفي هذا المضمار قصر علماء النص ـ كما ذكرت من قبل ـ الإحالة الخارجية على ضمائر التكلم وضمائر الخطاب فقط ، ولكن الباحثة ترى أنها قد تظهر باستخدام ضمائر الغيبة نحو قول العقاد :

« ولا يحسبن حاسب أننا نفسر الأمور بما كشفته لنا الحوادث بعد وقوعها ولم يكن مقصودًا في النيات قبل ذلك ، فإن الذي يحسب هذا الحسبان يخطئ تلك الخطأة الشائعة التي لا تثبت على أقل نصيب من الروية والمراجعة... »[1].

فالضمير في قوله (يحسب ، يخطئ) تقديره (هو)، ويعود على مذكور في الجملة يفسر بأنه المتلقي .

والمتلقي يقع خارج النص ، إذًا فهي إحالة خارجية باستخدام ضمير الغائب.

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٠ .

- النموذج المختار للتطبيق

(عبقري) (*)

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
١	٢	قالها	إحالة ضمير قبلية	٠	كلمة
		عنه	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
٢	٢	هي	إحالة ضمير قبلية	١	كلمة
		يقولها	إحالة ضمير قبلية	٠	كلمة
٣	١	خلق (هو)	إحالة ضمير قبلية	٢	النبي عليه السلام
٤	٤	تحيي (هي)	إحالة ضمير قبلية	٢	علامات العظمة
		تختص (هي)	إحالة ضمير قبلية	٠	الأهم
		نعهدان	إحالة ضمير قبلية	٠	بقدرتين
		غيرها	إحالة ضمير قبلية	٠	الأمم
٥	٤	أولاهما	إحالة ضمير قبلية	١	بقدرتين
		بأسرها	إحالة ضمير قبلية	٠	الأمة
		رجالها	إحالة ضمير قبلية	٠	الأمة
		لخدمتها	إحالة ضمير قبلية	٠	الأمة
٦		تنفذ (هي)	إحالة ضمير قبلية	١	الأمة
		ببصيرتها	إحالة ضمير قبلية	١	الأمة
		فتعرف (هي)	إحالة ضمير قبلية	١	الأمة

(*) الفصل الأول من العبقرية .

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٧	١	يصلح (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	العظيم
٨	١	يصلح (هو)	إحالة ضمير قبلية	٢	العظيم
٩	٣	أوانة	إحالة ضمير قبلية	٣	العظيم
		ندبته	إحالة ضمير قبلية	٣	العظيم
		أمره	إحالة ضمير قبلية	٣	العظيم
١٠	١	لهما	إحالة ضمير قبلية	٠	القدرتين
١١	٣	بعثت (هي)	إحالة ضمير قبلية	٠	الدعوة المحمدية
		كنا (نا)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		نسمع (نحن)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
١٢	٤	له	إحالة ضمير قبلية	١	ابن الخطاب
		كان (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	موضوع
		هذا	إحالة إشارة بعدية	٠	التاريخ
		يزجر (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	التاريخ
١٣	٣	أنه	إحالة ضمير بعدية	٠	اسم
		يقترن (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	اسم
		لها	إحالة ضمير قبلية	٠	دولة
١٤	٢	كنا (نا)	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي
		نسمع (نحن)	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
١٥	٣	كان (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
		يستوي (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
		قبيلته	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
١٦	٣	شأنه	إحالة ضمير قبلية	٢	عمر
		نسمع (نحن)	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي
		لهم	إحالة ضمير قبلية	٠	زعماء آخرين
١٧	٣	لأنهم	إحالة ضمير قبلية	١	زعماء آخرين
		عظموا	إحالة ضمير قبلية	١	زعماء آخرين
		لم يعظموا	إحالة ضمير قبلية	١	زعماء آخرين
١٨	٢	يعطون	إحالة ضمير قبلية	٢	زعماء آخرين
		تطلب (هي)	إحالة ضمير قبلية	٠	البيئة
١٩	٦	هي	إحالة ضمير قبلية	١	البيئة
		تطلب (هي)	إحالة ضمير قبلية	١	البيئة
		منهم	إحالة ضمير قبلية	٣	زعماء آخرين
		يذكرون	إحالة ضمير قبلية	٣	زعماء آخرين
		به	إحالة ضمير قبلية	٠	(ما) الموصولة
		بيئتهم	إحالة ضمير قبلية	٣	زعماء آخرين
٢٠	٥	لكنها	إحالة ضمير قبلية	١	بيئتهم
		تطلب (هي)	إحالة ضمير قبلية	١	بيئتهم
		منهم	إحالة ضمير قبلية	٤	زعماء آخرين
		يذكرون	إحالة ضمير قبلية	٤	زعماء آخرين
		به	إحالة ضمير قبلية	٠	(ما) الموصولة
٢١	-	-	-	-	-

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٢٢	٣	لكنه	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
		قوته	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
		يكن (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
٢٣	٥	يكن (هو)	إحالة ضمير قبلية	٢	عمر
		يندفعون	إحالة ضمير قبلية	٠	ممن (من الذين)
		يحفزه	إحالة ضمير قبلية	٢	عمر
		إليه	إحالة ضمير قبلية	٠	الغلبة والتوسع في الجاه والسلطان
		هو	إحالة ضمير قبلية	٢	عمر
٢٤	٤	لأنه	إحالة ضمير قبلية	٣	عمر
		كان (هو)	إحالة ضمير قبلية	٣	عمر
		التزامها	إحالة ضمير قبلية	٠	الحرمات
		حوله	إحالة ضمير قبلية	٣	عمر
٢٥	١٠	يهيجه	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر
		قبيلته	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر
		محارمه	إحالة ضمير قبلية	٠	الحجاز
		فينبري (هو)	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر
		لدفعه	إحالة ضمير قبلية	٠	خطر
		يبلى (هو)	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر
		ذلك	إحالة ضمير قبلية	٠	لدفعه
		به	إحالة ضمير قبلية	٠	بلاء
		جيله	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر
		جيله	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٢٦	٧	لكنه	إحالة ضمير قبلية	١	بلاء يتسامع به العرب
		ذلك النطاق	إحالة ضمير قبلية	١	جيله وبعد جيله
		هو	إحالة ضمير قبلية	٥	عمر
		يبالي (هو)	إحالة ضمير قبلية	٥	عمر
		يمعن (هو)	إحالة ضمير قبلية	٥	عمر
		بلائه	إحالة ضمير قبلية	٥	عمر
		يعدوه	إحالة ضمير قبلية	٠	بلائه
٢٧	٢	هذا	إحالة إشارة قبلية	٢	من ج ٢٣ إلى ج٢٥
		نقيضه	إحالة ضمير قبلية	٠	هذا
٢٨	٢	تلك	إحالة إشارة قبلية	٠	القوة
		إليها	إحالة ضمير قبلية	٠	معاقرة الخمر
٢٩	١٢	فإنه	إحالة ضمير قبلية	٨	عمر
		كان (هو)	إحالة ضمير قبلية	٨	عمر
		قال (هو)	إحالة ضمير قبلية	٨	عمر
			إحالة نصية (بعدية)	٠	صاحب خمر يشرها ويحبها
		وهي	إحالة ضمير قبلية	١	معاقرة الخمر
		تؤمن (هي)	إحالة ضمير قبلية	١	معاقرة الخمر
		أدمنوها (الواو، هاء)	إحالة ضمير قبلية	١	الأقوياء
			إحالة ضمير قبلية	١	معاقرة الخمر
		يجدوا	إحالة ضمير قبلية	١	الأقوياء
		يصرفهم (هو، هم)	إحالة ضمير قبلية	٠	من زواجر الدين
			إحالة ضمير قبلية	١	الأقوياء
		عنها	إحالة ضمير قبلية	١	معاقرة الخمر

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٣٠	٢	يكفهم	إحالة ضمير قبلية	١	من زواجر الدين
		معاطاتها	إحالة ضمير قبلية	٢	الخمر
٣١	٢	عرفه	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر بن الخطاب
		سواها	إحالة ضمير قبلية	٠	الدعوة المحمدية
٣٢	٣	بها	إحالة ضمير قبلية	١	الدعوة المحمدية
		بغيرها	إحالة ضمير قبلية	١	الدعوة المحمدية
		ليعرف (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	عمر بن الخطاب
٣٣	٤	بها	إحالة ضمير قبلية	٠	القدرة الأخرى
		عنها	إحالة ضمير قبلية	٠	القدرة الأخرى
		عليه	إحالة ضمير قبلية	٠	النبي
		بينه	إحالة ضمير قبلية	٠	النبي عليه السلام
٣٤	٣	سأل (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	النبي عليه السلام
		فيها	إحالة ضمير قبلية	٠	اللحظة
		به	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
٣٥	٣	فيها	إحالة ضمير قبلية	٠	اللحظة
		هو	إحالة ضمير قبلية	٢	النبي عليه السلام
		عليه	إحالة ضمير قبلية	٢	النبي

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٣٦	٤	سبر (هو)	إحالة ضمير قبلية	٣	النبي عليه السلام ج٣٣
		غوره	إحالة ضمير قبلية	٣	عمر ج٣٣
		استكنه	إحالة ضمير قبلية	٣	النبي عليه السلام ج٣٣
		عظمته	إحالة ضمير قبلية	٣	عمر ج٣٣
٣٧	١٠	عرفه	إحالة ضمير قبلية	٤	النبي عليه السلام ج٣٣
			إحالة ضمير قبلية	٤	عمر ج ٣٣
		مواقفه	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر ج٣٣
		فعرف (هو)	إحالة ضمير قبلية	٤	النبي عليه السلام ج٣٣
		يتقدم (هو)	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر ج ٣٣
		فيه	إحالة ضمير قبلية	٠	الموقف
		غيره	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر ج٣٣
		هو	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر ج٣٣
		غيره	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر ج٣٣
		عليه	إحالة ضمير قبلية	٤	عمر ج٣٣
٣٨	٤	هي	إحالة ضمير قبلية (نصية)	١	ج ٣٧
		لكنها	إحالة ضمير قبلية (نصية)	١	ح ٣٧
		يوضع (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	الرجل
		فيه	إحالة ضمير قبلية	٠	الموضوع

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٣٩	٢	يندب (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	الرجل
		لها	إحالة ضمير قبلية	٠	المهمة
٤٠	٢	فيه	إحالة ضمير قبلية	٠	الوقت
		أوانه	إحالة ضمير قبلية	٢	الرجل
٤١	٧	رأينا	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي
		زماننا	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي
		هذا	إحالة إشارة قبلية	٠	زماننا
		يوصي (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		أنصاره	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		يوصي (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		لغيره	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
٤٢	٦	نقول (نحن)	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوى
		إنه	إحالة ضمير قبلية	١	رئيسا
		يفاضل (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	رئيسا
		إنه	إحالة ضمير قبلية	١	رئيسا
		يرجح (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	رئيسا
		أحدهما	إحالة ضمير قبلية	٠	النصيرين

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٤٣	٣	منهما	إحالة ضمير قبلية	١	النصيرين
		لموضعه	إحالة ضمير قبلية	٠	كلا منهما
		إليه	إحالة ضمير قبلية	٠	كلا منهما
٤٤	٢	منهما	إحالة ضمير قبلية	٢	النصيرين
		هذا	إحالة إشارة بعدية	٠	الاختيار
٤٥	٣	يعلم (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	فالنبي عليه السلام
		هو	إحالة ضمير بعدية	٠	أبو بكر
		هو	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
٤٦	٤	عادل (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	فالنبي عليه السلام
		بينهما	إحالة ضمير قبلية	١	أبو بكر ، عمر
		قال (هو، إحالة نصية)	إحالة ضمير قبلية إحالة بعدية	١	النبي عليه السلام (إن الله ... يروا العذاب الأليم)
٤٧	٢	عليه	إحالة ضمير قبلية	٠	النبي
		يعلم (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	النبي
٤٨	١	يعلم (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	النبي
٤٩	٦	فجمع (هو)	إحالة ضمير قبلية	٢	النبي
		اختار (هو)	إحالة ضمير قبلية	٢	النبي
		ضمن (هو)	إحالة ضمير قبلية	٢	النبي
		هذا	إحالة إشارة بعدية	٠	الاختيار
		أنه	إحالة ضمير قبلية	٢	النبي
		نص (هو)	إحالة ضمير قبلية	٢	النبي

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٥٠	٢	نبيه	إحالة ضمير قبلية	٠	الإسلام
		كان (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	تعزيز الإسلام
٥١	٢	كان (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	تعزيز الإسلام
		كذلك	إحالة إشارة قبلية	١	ج ٥٠
٥٢	٢	إليها	إحالة ضمير قبلية	٠	شدة عمر
		فيها	إحالة ضمير قبلية	٠	محنة
٥٣	-	-	-	-	-
٥٤	-	-	-	-	-
٥٥	٨	استنفذ (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	الموقف
		فيه	إحالة ضمير قبلية	٠	الموقف
		يصر (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	أبو بكر
		عليه	إحالة ضمير قبلية	٠	البأس
		لينه	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		يثوب (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		صرامته	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		لدده	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
٥٦	٢	يعلم (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	النبي
		يبدل (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	احتمال التبعة أو المسئولية
٥٧	-	-	-	-	-

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٥٨	١٣	لأننا	إحالة ضمير قبلية	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		قلنا	إحالة ضمير قبلية	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		أصبح (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		يشعر (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		ذلك	إحالة ضمير قبلية	٠	لأننا إذا قلنا إن رئيسا أصبح يشعر بالمسئولية
		أنه	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		أصبح (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		يراجع (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		رأيه	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		يستسلم (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		بمليه	إحالة ضمير قبلية	٠	طبعه
		عليه	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
		طبعه	إحالة ضمير قبلية	٠	رئيسا
٥٩	٢	يقنع (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	رئيسا
		دأبه	إحالة ضمير قبلية	١	رئيسا
٦٠	١	رأيه	إحالة ضمير قبلية	٢	رئيسا
٦١	٣	هو	إحالة ضمير قبلية	٠	الرجل
		موقفه	إحالة ضمير قبلية	٠	الرجل
		هو	إحالة ضمير قبلية	٠	الرجل

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٦٢	٢	هذا	إحالة إشارة قبلية	٠	الفترة السابقة (وكان النبيه عليه السلام .. وموقفه وهو غيرمسئول)
		ظهر (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	الفقرة السابقة (وكان النبي عليه السلام.. وموقفه وهو غير مسئول، ج٥٦ : ج٦٧)
٦٣	٤	أثر (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		أثر (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	أبا بكر
		أصر (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	أبا بكر
		عليه	إحالة ضمير قبلية	٠	القتال
٦٤	٤	يقول (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
			إحالة نصية بعدية	٠	أن رسول الله ... اليوم
		يقول (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
			إحالة نصية بعدية	٠	إلزام ... العربى
٦٥	١	يقول (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	أبو بكر
			إحالة نصية بعدية	٠	(أإن أكثر ... وهو خير معين)
٦٦	١	مداها	إحالة ضمير قبلية	٠	التبصرة بوجوه الرأي

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٦٧	٢	عنده	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		عليه	إحالة ضمير قبلية	٠	الرأي الآخر
٦٨	١	شدتهما	إحالة ضمير قبلية	١	الصاحبان
٦٩	٢	وهب (أنت)	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي من ج ٦٢: ج٦٥
		مع هذا	إحالة إشارة قبلية (نصية قبلية)		
٧٠	٦	عنه	إحالة ضمير قبلية	٠	شدة عمر
		هذه	إحالة إشارة بعدية	٠	الحال
		أنه	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		هو	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		يتولى (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		بسط (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
٧١	٤	لأنه	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
		يعلم (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
		أنه	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
		غيره	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
٧٢	–	–	–	–	–
٧٣	٩	عليه	إحالة ضمير قبلية	٠	محمدًا
		عرف (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	محمدًا
		هم	إحالة ضمير قبلية	٠	رجاله
		رجاله	إحالة ضمير قبلية	٠	محمدًا
		هم	إحالة ضمير قبلية	٠	الموقف
		هم	إحالة ضمير قبلية	٠	رجاله
		مقبلون	إحالة ضمير قبلية	٠	رجاله
		عليه	إحالة ضمير قبلية	٠	الموقف
		وفاته	إحالة ضمير قبلية	٠	محمدًا

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٧٤	٦	فعرف (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	محمدًا
		يضع (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	محمدًا
		فيه	إحالة ضمير قبلية	٠	الموضوع
		منهم	إحالة ضمير قبلية	١	رجاله
		يتولاه	إحالة ضمير قبلية	٠	كلا منهم
		ذلك	إحالة إشارة بعدية	٠	الموضع
٧٥	٣	يفنه	إحالة ضمير قبلية	٢	محمد عليه السلام
		يحسب (هو)	إحالة ضمير قبلية	٢	محمد عليه السلام
		احتمالها	إحالة ضمير قبلية	٠	التبعة
٧٦	٢	هذه	إحالة إشارة بعدية	٠	الأخلاق
		هذه	إحالة إشارة بعدية	٠	العقول
٧٧	٧	أننا	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		نفسر (نحن)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		كشفته	إحالة ضمير قبلية	٠	الاسم الموصول (بما كشفته)
		لنا	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		وقوعها	إحالة ضمير قبلية	٠	الحوادث
		يكن (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	(ما) الموصولة
		ذلك	إحالة ضمير قبلية	٠	(أننا نفسر الأمور بما كشفته لنا الحوادث)

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٧٨	٥	كسب (هو)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		هذا	إحالة إشارة بعدية	٠	الحسبان
		يخطئ (هو)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		ذلك	إحالة إشارة بعدية		الخطأة الشائعة
		تثبت (هي)	إحالة ضمير قبلية		الخطأة الشائعة
٧٩	٥	يخطئ (هو)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		وهمه	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		يتخيلون	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		هذه	إحالة إشارة بعدية	٠	السياسات
		هي	إحالة ضمير قبلية	٠	السياسات
٨٠	–	–	–	–	–
٨١	١	ترجع (هي)	إحالة ضمير قبلية	–	العظمة
٨٢	٤	هذا	إحالة إشارة بعدية		التقدير
		احملنا	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي
		شرحه	إحالة ضمير قبلية		التقدير
		كان (هو)	إحالة ضمير بعدية		التقدير

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٨٣	٢	كان (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	التقدير
		تلك	إحالة إشارة بعدية	٠	الآونة
٨٤	٥	بينهم	إحالة ضمير قبلية	٠	ولاة الأمر
		نلحظه	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		نحن	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		عصرنا	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		هذا	إحالة إشارة قبلية	٠	عصرنا
٨٥	٣	ذلك	إحالة إشارة قبلية (نصية)	٠	الفقرة السابقة (فكل هذا... من تفسير حوادث التاريخ)
		قال (هو) إحالة نصية	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
			إحالة نصية	٠	(بلغني أن الناس .. من بعض لبعض)
٨٦	–	–	–	–	–
٨٧	١	يلي (هو)	إحالة ضمير قبلية		من الموصولة
٨٨	٤	تلك	إخ . إش . ب	٠	المحنة
		فيها	إحالة ضمير قبلية	٠	المحنة
		فيها	إحالة ضمير قبلية	٠	المحنة
		تستدركه	إحالة ضمير قبلية	٠	الكثير

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٨٩	٣	يخشى (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		يهيئ (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		ليعالج (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
٩٠		يقول (هو)	إحالة ضمير قبلية إحالة نصية	١	عمر (وكنت أداري.. منى وأوقر)
		رواه	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
		محنته	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
		ذلك اليوم	إحالة إشارة قبلية	٤	يوم السقيفة
٩١	١	يحاذر (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
٩٢	–	–	–	–	–
٩٣	١	فيضيع (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
٩٤	٤	هؤلاء	إحالة إشارة بعدية إحالة نصية	٠ ٠	رجال ج ٧٣
		يعرفهم	إحالة ضمير قبلية	٠	رجال
		صاحبهم	إحالة ضمير قبلية	٠	رجال
٩٥	٤	هذه	إحالة ضمير بعدية إحالة نصية	٠ ٠	مواقف (المواقف الواردة في النموذج المختار)
		يعرفها	إحالة ضمير قبلية	٠	مواقف
		صاحبها	إحالة ضمير قبلية	٠	مواقف

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٩٦	١١	هذه مسألة	إحالة إشارة بعدية	٠	مسألة
			إحالة نصية	٠	ج ٧٣ : ج ٧٦
		فيها	إحالة ضمير قبلية	٠	مسألة
		لنا	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		نحن	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		نعود (نحن)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		إليها	إحالة ضمير قبلية	٠	مسألة
		نستخلص (نحن)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		عبرتها	إحالة ضمير قبلية	٠	مسألة
		نراقب (نحن)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		فيها	إحالة ضمير قبلية	٠	مسألة
٩٧	–	–	–	–	–
٩٨	٤	موضعه	إحالة ضمير قبلية	٠	أبو بكر
		هو	إحالة ضمير قبلية	٠	أبو بكر
		يلي (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	أبو بكر
		أهله	إحالة ضمير قبلية	٠	أبو بكر

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
٩٩	٥	يطبهم (هو ، هم)	إحالة ضمير قبلية	١	أبو بكر
			إحالة ضمير قبلية	١	أهله
		به	إحالة ضمير قبلية	٠	الطب
		هو	إحالة ضمير قبلية	٠	الطب الذي يطبهم به
		عنها	إحالة ضمير قبلية	٠	السطوة
١٠٠	٦	موضعه	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		هو	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		بلى (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		عليه	إحالة ضمير قبلية	٠	الإسلام
		أعدائه	إحالة ضمير قبلية	٠	الإسلام
		به	إحالة ضمير قبلية	٠	الإسلام
١٠١	٣	يطبهم	إحالة ضمير قبلية	١	أعدائه المحدقين
		هو	إحالة ضمير قبلية	٠	الطب الذي يطبهم به
		ينكل (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	طب الصلابة والحزم
١٠٢	٥	لكنها	إحالة ضمير قبلية	٠	أيام أبي بكر
		تحتاج (هي)	إحالة ضمير قبلية	٠	الأيام
		إليه	إحالة ضمير قبلية	٠	أبي بكر
		تكفي (هي)	إحالة ضمير قبلية	٠	أيام أبي بكر
		عمله	إحالة ضمير قبلية	٠	أبي بكر
١٠٣	٥	توقع (هو)	إحالة ضمير قبلية	١	النبي
		حينه	إحالة ضمير قبلية	٠	عمل عمر
		ينتفع (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	الإسلام
		بمقدرته	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر
		عهده	إحالة ضمير قبلية	٠	عمر

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
١٠٤	٥	نقول (نحن)	إحالة إلى خارج النص	١	المحال إليه عنصر غير لغوي
		هذا	إحالة إشارة قبلية (إحالة نصية)	٠	ج ٩٨ : ج ١٠٢
		حقنا	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		نقوله (نحن ، هو)	إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
			إحالة ضمير قبلية	٠	هذا
١٠٥	١	فيه	إحالة ضمير قبلية	١	هذا
١٠٦	٢	قال (هو، إحالة نصية)	إحالة ضمير قبلية	٤	النبي
			إحالة نصية		(رأيت، وضربوا بعطن)
١٠٧	١	هو	إحالة ضمير قبلية		فيض العبقرية
١٠٨	٢	لها	إحالة ضمير قبلية	٠	فيض العبقرية
		أمامها	إحالة ضمير قبلية	٠	فيض العبقرية
١٠٩	١	لها	إحالة ضمير قبلية	١	فيض العبقرية

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
١١٠	٨	لنا	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي
		نفسر (نحن)	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي
		بمعناها	إحالة ضمير قبلية		العبقرية
		نفهمه	إحالة ضمير قبلية		بمعناها
		بمعناها	إحالة ضمير قبلية		العبقرية
		نفهمه	إحالة إلى خارج النص		المحال إليه عنصر غير لغوي
		نحن	إحالة ضمير قبلية		المحال إليه عنصر غير لغوي
١١١	١	فكلا	إحالة ضمير بعدية	٠	المعنيين
١١٢	٦	أتراها	إحالة إلى خارج النص إحالة ضمير قبلية	٢	المحال إليه عنصر غير لغوي العبقرية
		كلا	إحالة ضمير بعدية		المعنيين
		يخرج (هو)	إحالة ضمير قبلية		مدلولاً
		هذه الصفات	إحالة ضمير قبلية إحالة نصية		الصفات (رجل ممتاز)

رقم الجملة	عدد الروابط	العنصر الإحالي	نوع الإحالة	المسافة	المحال إليه
١١٣	١١	يكتب (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	من (الموصولة)
			إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		يجد (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	من (الموصولة)
			إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		أنه	إحالة ضمير قبلية	٠	من (الموصولة)
			إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		يكتب (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	من (الموصولة)
			إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		ينتهي (هو)	إحالة ضمير قبلية	٠	من (الموصولة)
			إحالة إلى خارج النص	٠	المحال إليه عنصر غير لغوي
		هذه	إحالة ضمير قبلية	٠	الأوليات
١١٤	٥	تلك	إحالة إشارة قبلية (نصية قبلية)		النص السابق كله
		هي	إحالة ضمير قبلية (نصية قبلية)		النص السابق كله
		فريها	إحالة ضمير قبلية		عبقرية
		صاحبه	إحالة ضمير قبلية	١٢	النبي
		به	إحالة ضمير قبلية	١	عمر
١١٥	١	عليه	إحالة ضمير قبلية	١٣	النبي

المبحث الثاني

الوصل بالأداة

يعد الوصل بالأداة من أبرز وسائل سبك النص ، ولكنه « يختلف في طبيعته عن سائر علاقات التماسك ، كالإحالة والاستبدال والحذف »[1] .

وذلك لأن الوصل « تعيين للطريقة التي يتصل فيها اللاحق بالسابق اتصالاً منتظمًا »[2] .

فإذا كانت إعادة اللفظ Reccurrance والإحالة المشتركة CO-Reference والحذف Ellipsis تحافظ على بقاء مساحات المعلومات فإن الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات »[3] .

وعلى الرغم من الأهمية البالغة للوصل فإن الروابط « في عبارات النحو ودراسة الخطاب معًا لم تكد ... تحظى[*] بحقها في الدراسة على وجه سيمانطيقي (دلالي) ومعظم الدراسات المناسبة لها إنما أنجزت في الفلسفة

---

(1) Cohesion in English p. 226.

(٢) دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات، مصطفى صلاح قطب، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ص ١٧٨ .

(٣) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٣٤٦ .

(*) هذا لدى علماء النص الغربيين أما الدرس العربي القديم فقد عني بحروف المعاني عناية بالغة وخصص لها مباحث وكتب مستقلة ، بدأت بالوظيفة النحوية وانتهت بتعدد معاني الحرف الواحد باختلاف السياق الوارد فيه ، ومن هذه الكتب ١- الأزهية في علم الحروف للهروي . ٢- مغني اللبيب لابن هشام . ٣- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ، وانظر ص (١٥-١٨) من هذا المبحث .

والدراسة المنطقية ... وبعبارة أخرى فنحن لم نتعمق في فهم دلالة روابط اللغة الطبيعية بما فيها أدوات الوصل (العطف) ، والظروف (في النحو) »[1] .

ولأن مبحث الربط في الأصل عبارة عن « قرينة لفظية على اتصال المترابطين بالآخر »[2] فإنه يمكن أن يمثل علاقة قبلية أو يمثل علاقة بعدية ، وهذا يتوقف على الأداة المستخدمة والسياق الذي وردت فيه .

ومن ثَمَّ أجد في قول « هاليداي ورقية حسن » شيئًا من المغالاة حينما ذكرا أن الوصل « ليس علاقة قبلية »[3]، فكما أشرت من قبل إلى أن الوصل بالأداة وسيلة للاتصال المنتظم ، وهذا الانتظام يتأتى من علاقة السابق باللاحق أو العكس ، وعلى مدى توفيق المبدع في اختيار أداة الوصل المُعبرة عن غرضه .

أهمية الروابط :

تبرز أهمية أدوات الوصل من حيث كونها:

(أ) معبرة عن « العلاقات بين الأحداث »[4] .

(ب) « تعمل على بناء تراكيب متتالية من الجمل »[5] .

فيصبح النص وكأنه شبكة من العلاقات المترابطة عن طريق الوصل بالأداة أو الوصل دون أداة .

أقسام الوصل بالأداة :

قسم علماء النص الوصل بالأداة إلى عدة أقسام ، وإن اختلفت هذه الأقسام فيما بينها من حيث العموم والخصوص .

---

(١) النص والسياق ، فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، ص ٢٨ .

(٢) انظر : (أ) اللغة العربية معناها ومبناها ، دكتور تمام حسان، عالم الكتب ، ط الثالثة ، ص٢١٣ .

(ب) الخلاصة النحوية ، دكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، ط أولى ، ص ٨٩ .

(3) Cohension in English p.6 .

(٤) النص والسياق ، فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، ص ١٠٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

فنجد (فان دايك) على سبيل المثال يقسم الروابط الطبيعية إلى أصناف هي:

أ- الوصل التشريكي .

ب ـ الفصل والتخيير البدلي .

ج ـ المعارضة بالتقابل .

د ـ التعارض (بالاستدراك) .

هـ ـ الشرط .

و ـ العلة والسبب .

ز ـ الغاية .

ح ـ الظروف (الزمانية والمكانية والحالية)» [1] .

أما «روبرت دي بوجراند» فيقسم الربط إلى أربعة أقسام ، فهو وصل :

١- يربط مطلق الجمع Conjunction.

٢- ويربط التخيير Disjunction.

٣- يربط الاستدراك Contra Junction.

٤- التفريع Subordination» [2] .

أما هاليداي ورقية حسن فقد قسما الوصل إلى أربعة أقسام وهي :

١- وصل إضافي Additive Conjuction

٢- وصل عكسي Adversative Conjunction

٣- وصل سببي Causal Conjunction

٤- وصل زمني Temporal Conjunction» [3].

---

(١) النص والسياق ، فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، ص ٨٤ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٣٤٦، ٣٤٧.

(3) Cohesion in English, p 242, 243

وسوف أتناول تقسيم هاليداي ورقية حسن لأقسام الوصل بشيء من التفصيل :

أولاً : الوصل الإضافي

ويتم عن طريق إضافة المعلومات التي توضح وتشرح ما سبقها ويكون ذلك عن طريق :

أ- استخدام حروف العطف مثل : الواو ، ثم ، أو ، الفاء .

ب ــ استخدام علاقة «التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع : بالمثل ... ، علاقة الشرح وتتم بتعابير مثل : أعني .... ، وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل : مثلاً ، نحو ....» [(١)] .

ويشير «روبرت دي بوجراند» إلى أن الوصل الإضافي يربط «بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين» [(٢)] .

ثانيًا : الوصل العكسي

ويقصد به تقديم فكرة أو معلومة مضادة تمامًا لما يتوقعه السامع ، ويتم ذلك عن طريق استخدام أدوات مثل : لكن ، بل .

أو بتعبيرات دالة على التناقض نحو : على العكس من ذلك ، ومع ذلك .

ويأتي النظر في الاستدراك Contrajunction في ضوء التعارض Opposition ولكنه كما رأيت أضعف من التخيير في هذا الصدد ، وذلك أن الموقفين أو الحدثين أو أي أمرين آخرين يعدان في ذواتهما غير قابلين أن يجتمع أحدهما بالآخر ولكنهما مع ذلك يوجدان في عالم نصي واحد» [(٣)] .

---

(١) لسانيات النص ، محمد خطابي ، ص ٢٣ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٣٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

ثالثًا : الوصل السببي

وهو الوصل الذي «يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر»[1].

أو «العلاقة بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة التدرج أي أن تحقق إحداهما يتوقف على حدوث الأخرى»[2].

رابعًا : الوصل الزمني[*]

وهو عبارة عن علاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيًا ومن أمثلة ذلك:

البارحة ، اليوم ، غدًا ، قبل ، بعد ، حينئذ ، إذ ، إذا .

وعلى الرغم من أهمية الوصل بالأداة فإن «فان دايك يؤكد أن تسلسل العبارات يمكن أن يترابط بدون أن تحصل فائدة الاتساق وفحواه ، أعني أن الربط يجوز أن يكون شرطًا ضروريًا ولكنه ليس كافيًا لقبول الخطاب»[3].

بعد تقرير «فان دايك في كتابه» النص والسياق «أن أدوات الربط لم تحظ بنصيب كاف من الدراسة ، نجد صدى ذلك في تقسيم علماء النص لأدوات الوصل ، إذ إن السمة الغالبة عليها هي العموم ، وأوضح ما يكون ذلك لدى هاليداي ورقية حسن ، لذا آثرت الوقوف على هذا التقسيم - كما سبق وأوضحت - بشيء من التفصيل .

وفي هذا المقام لا ألقى اللوم على علماء النص ولكن أوجه السؤال إلى

---

(١) لسانيات النص ، محمد خطابي ، ص ٢٣ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة دكتور تمام حسان ، ص٣٤٧ .

(*) يدرج روبرت دي بوجراند الوصل الزمني والوصل المكاني تحت قسم التفريع Subordination .

(٣) النص والسياق ، فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، ص ٧٣ .

بعض الباحثين العرب(*)، الذين أخذوا هذه التقسيمات العامة مطبقين إياها على لغتنا العربية ، متغافلين عما بها من خصوصية ، فإن كل أداة للوصل لها معنى خاص بها ، وقد يغير هذا المعنى باختلاف السياق الذي وردت فيه ، وقد فطن إلى هذا قدامى النحويين واللغويين .

إن هؤلاء الباحثين يدرجون حروف العطف ـ رغم خصوصية كل حرف منها ـ تحت الوصل الإضافي ، ويدرجون تحت «الوصل العكسي» (لكن ، وبل) متغافلين عن الفرق بين الإضراب والاستدراك ويدرجون أدوات الشرط والحروف التي تفيد التعليل تحت «الوصل السببي» ، معتمدين في ذلك على التقسيم المنطقي القائل «بأنهما حدثان يتوقف حدوث إحدهما على حدوث الآخر» .

بل إنهم اكتفوا بمرحلة الوصف فقط ، بمعنى أن هذا وصل سببي ، وذلك وصف عكسي دون إبراز دور الأداة في النص ، أو التعليق على سبب اختيار المبدع لها ، وأثر ذلك على الحركة الدلالية للنص .

وبناء على ذلك آثرت الإلمام بتقسيمات علماء النص لأدوات الوصل في الإطار النظري ، ولكنني اعتمدت على كتب حروف المعاني التي صنفها علماء العربية أثناء عملية التحليل ومنها : رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي : ومغني اللبيب لابن هشام ، ومبحث الفصل والوصل لدى الجرجاني في دلائل الإعجاز .

ويتم ذلك عن طريق اختياري لفقرات مختلفة من الفصل الموسوم بـ(صفاته) في العبقرية(*).

(*) انظر (أ) دراسة لغوية لصور التماسك النصى في لغتي الجاحظ والزيات ، مصطفى صلاح قطب ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦ .

(ب) الربط النحوي في كتاب فيض الخاطر لأحمد أمين ، ليلى خميس ، رسالة ماجستير ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس ١٩٩٩ .

(*) جدير بالذكر أن العبقرية تعتمد على عنصري الوصف والسرد ، مما دفع العقاد إلى إيثار حروف بعينها لخدمة هذا الغرض .

«نحن على هذا أمام رجل لا كالرجال . رجل عبقري ، أو رجل ممتاز من خاصة الخليقة الذين لا يعدون في الزمن الواحد بأكثر من الآحاد»[1] .

توصل العقاد إلى نتيجة استخلصها من خلال المواقف التي سردها في صفحات سابقة ، وهي أن عمر (رجل لا كالرجال) ، بمعنى أنه ليس من عامتهم ولكنه عبقري ، محاولاً تفصيل مقصده باستخدام (أو) العاطفة للتخيير بين إجمال سابق في قوله (رجل عبقري) وتفصيل وتوضيح لاحق في قوله (رجل ممتاز ...) .

(أنقول رجل قوي ؟ نعم هو رجل قوي لا مراء . وكل عظيم فهو قوي بمعنى من معاني القوة نعلم هذا فنعلم الشيء المهم عنه ، ولكننا بعد هذا لا نعلم شيئًا مهما عن صفاته وأخلاقه لأن الناس من حيث القوة أقوياء وضعفاء أو متوسطون ومنحرفون إلى هنا تارة وإلى هناك تارة أخرى أما من حيث الصفات والأخلاق فهم ألوف وألوف ، وهم في قوتهم أو ضعفهم أنماط لا تحصى من المناقب والعيوب . فهي حالة تدل عليها المناقب والعيوب أو تدل عليها الصفات والأخلاق ، وليست هي بالحالة التي تدلنا على مناقب الإنسان وعيوبه وتهدينا بغيرها إلى صفاته وأخلاقه)»[2].

بعد أن وسم العقاد «عمر» بالعبقرية وبأنه رجل ممتاز ، عاد متسائلاً : هل يمكننا أن نطلق على الرجل العبقري أو الرجل الممتاز أنه رجل قوي ، مستخدمًا (الهمزة) في ذلك ، ودخولها على الفعل المضارع يدل على الشك في الفعل نفسه ، وعلى أن هذا الفعل جاء للدلالة على الحال ، لأننا إن أولنا الفعل بدلالته على الاستقبال لانقلب المعنى إلى الإنكار ، أي لا يصدر منا هذا القول .

(١،٢) عبقرية عمر ، ص ٢٠ .

وليدحض العقاد هذا الشك الظاهر في الاستفهام جاءت الإجابة بـ (نعم) ومؤكدة بقوله (لامراء) .

وتأتي الفاء الداخلة على الخبر لتحمل معنى السببية ، فالقوة تعد سببًا من أسباب العظمة ، ويتكرر دورها في حمل معنى السببية ، إضافة لدورها الأصلي في التعقيب وذلك في الجملة التالية (نعلم هذا فنعلم الشيء المهم عنه) فسبب البحث والتنقيب أننا سنصل إلى صفة بارزة في شخصية عمر وهي (القوة) .

ولكن العقاد يعود مستدركًا هذا الحكم بـ (واو) العطف التي أشربت معنى الاستدراك من (لكن) فيستحيل إلى مناقشة الصفات والمناقب التي شكلت هذه الصفة .

أما الواو في قوله (صفاته وأخلاقه) فهي من قبيل عطف الخاص على العام، أي صفاته المستنبطة من أخلاقه .

ويأتي بعد ذلك الوصل التعليلي لهذا الاستدراك السابق مقسمًا من خلاله الناس إلى شطرين : (أقوياء وضعفاء) ، وقد أتى بحرف العطف (الواو) ليعطف مفرد على مفرد .

وقد ذكر المالقي أن الواو متى عطفت مفرد على مفرد « فإنها تشرك بينهما في اللفظ والمعنى »[1] ، فمن حيث اللفظ فإن كلمة (ضعفاء) تشارك كلمة (أقوياء) في الرفع ، ومن حيث المعنى فهي من قبيل الطباق .

وأيضًا قوله (متوسطون ومنحرفون) فالواو جاءت لتشرك بين الكلمتين من حيث اللفظ في (الرفع) ، ومن حيث المعنى فهو (شبه طباق) .

ولأن « المتكلم يقدم في كلامه الذي هو به أعنى وببيانه أهم استحسانًا

---

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، تحقيق دكتور سعيد صالح مصطفى زعيمة ، ط دار ابن خلدون ، ص ٤٤٩ .

لا إيجابًا»[1] ونحن في موطن القوة ، فإن العقاد قدم كلمة (أقوياء) على كلمة (ضعفاء) ، وقدم كلمة (متوسطون) على كلمة (منحرفون) .

وليس هذا فقط بل قدم قوله (أقوياء وضعفاء) على قوله (متوسطون ومنحرفون) لنفس السبب ، وجاء بحرف العطف (أو) لإفادة التقسيم بين أصناف الناس .

وقوله : (تارة إلى هنا وإلى هناك تارة) فجاءت (الواو) لتعطف جملة على جملة من حيث اللفظ ، أما من حيث المعنى فبينهما مقابلة .

وقوله «أما من حيث الصفات ....» .

فجاءت فيه (أما) وهي إلى جانب كونها أداة للتفصيل تحمل معنى (مهما) الشرطية أي (فمهما يكن من شيء فالناس من حيث الأخلاق والصفات ألوف وألوف) ، فدخلت الفاء على جوابها كما تدخل على أجوبة الشرط[*] .

(فإذا قلت إن عمر بن الخطاب رجل قوي فما زدت على أن تقول إنه رجل عبقري أو إنه رجل عظيم) .

جاء هذا التركيب الشرطي بشقيه (جملة الشرط + جملة جواب الشرط المقترنة بالفاء) ليجمل ما ورد في الفقرتين السابقتين ويصل إلى نتيجة وهي:

أنه ما دام عمر رجلاً عبقريًا أو رجلاً عظيمًا فهو رجل قوي ، فقام التركيب الشرطي والفاء الاستئنافية للحديث الوارد في الجمل السابقة إلى ربط الفقرات الثلاث .

أي أن الربط بين الفقرات يمكن أن يتم عن طريق حرف وصل وهو هنا (الفاء الاستئنافية للحديث) ويمكن أن يكون وصلاً ضمنيًا كما حدث بين

---

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني ، المالقي ، ص ٤٥١ .

(*) اكتفيت بتحليل هذا الجزء حيث تتكرر نفس أدوات الربط في الجمل المتبقية .

الفقرة الأولى والثانية ، فالفقرة الثانية تعد تفصيلاً للإجمال الوارد في الفقرة الأولى[1].

(لا تناقض في خلائق عمر بن الخطاب ، ولكن ليس معنى ذلك أنه أيسر فهمًا من المتناقضين ، بل لعله أعضل فهمًا منهم في كثير من الأحوال . فالعظمة على كل حال ليست بالمطلب اليسير لمن يبتغيه ، وليست بالمطلب اليسير لمن ينفذ إلى صميمه ويحتويه .

إنما الأمر الميسور في التعريف بهذا الرجل العظيم أن خلائقه الكبرى كانت بارزة جدًّا لا يسترها حجاب . فما من قارئ ألم بفذلكة صالحة من ترجمته إلا استطاع أن يعلم أن عمر بن الخطاب كان عادلاً ، وكان رحيمًا ، وكان غيورًا ، وكان فطنًا ، وكان وثيق الإيمان عظيم الاستعداد للنخوة الدينية .

فالعدل والرحمة والغيرة والفطنة والإيمان الوثيق صفات مكينة فيه لا تخفى على ناظر ، ويبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف تتجه هذه الصفات إلى وجهة واحدة ولا تتشعب في اتجاهها طرائق قددًا كما يتفق في صفات بعض العظماء بل يبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف يتمم بعض الصفات بعضًا حتى كأنها صفة واحدة متصلة الأجزاء متلاحقة الألوان)»[2] .

وقد تأتي الأداة في بداية الفقرة ويمتد معناها عبر جملها المختلفة من بدايتها وحتى نهايتها ومن ذلك :

أن «إنما» تأتي بخبر لا يجهله السامع ولا ينفيه ، فبدأ العقاد بها الفقرة ليدلل على أن أخلاق عمر كانت من الظهور بمكان ، وغير خافية على أحد ، فظهر معنى ذلك في قوله (كانت بارزة جدًّا) وفي قوله (لا يسترها حجاب)، ثم بدأ في تعديد هذه الصفات مستخدمًا «واو» العطف التي توحي في هذا

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

الموضع بتدافع هذه الصفات وتنافسها في الظهور كصفات أصلية في شخصية عمر .

ولكن واو العطف لم ترد في الجملة الأخيرة (عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) على الرغم من كونها جملة غير مستأنفة .

ولكن سياق النص ودلالة الجملة تظهر أنها إجمال لجملة الفضائل السابقة ، فمَنْ يتمتع بالنخوة الدينية نجده يتسم بالعدل والرحمة والغيرة والفطنة والإيمان الوثيق ، وهذا ما يؤكده قول العقاد في ختام الفقرة التالية :

(بل يبقى عليه بعد ذلك أن يعلم كيف يتمم بعض هذه الصفات بعضًا حتى كأنها صفة واحدة متصلة الأجزاء متلاحقة الألوان)»[1].

* * *

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ .

المبحث الثالث

التكـــرار

« يختص معيار السبك بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص Surface Text ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني »[1] وبناء على ذلك أدرجت الباحثة مبحث التكرار تحت محور السبك وقد لجأ العقاد إلى استخدام أنماط متعددة من التكرار وهي :

١- تكرار اللفظ .

٢- تكرار اللفظ ومادته المعجمية .

٣- تكرار جملة كاملة .

٤- تكرار جزء من الجملة .

٥- تكرار خاص بمتعلق الجملة .

٦- التوازي التركيبي .

١- تكرار اللفظ :

وينقسم بدوره إلى :

(أ) تكرار الاسم . (ب) تكرار الفعل .

---

(١) نحو أجرومية لدراسة النص الشعري ، دكتور سعد مصلوح ، ص ١٥٤ .
وانظر أيضًا : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، دكتور جميل عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط أولى ١٩٩٨م ، ص ٧٦ .

(أ) تكرار الاسم

شاع تكرار الأسماء في العبقرية شيوعًا واضحًا ، على اختلاف المسافات الواقعة بين الاسم الأصلي واللفظ المكرر وذلك ليتضح لنا دور التكرار في عملية الربط .

وقد ورد تكرار الاسم في العبقرية :

١- بين جملتين متواليتين داخل فقرة واحدة :

مثل قول العقاد :

١- « لم أر عبقريًا يفري فرية ...» .

« كلمة قالها النبي عليه السلام في عمر رضي الله عنه ، وهي كلمة لا يقولها إلا عظيم عظماء خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال»[١] .

٢- وقوله «نحن على هذا أمام رجل لا كالرجال ، رجل عبقري ، أو رجل ممتاز من خاصة الخليقة الذين لا يعدون في الزمن الواحد بأكثر من الآحاد»[٢].

وقوله :

٣- «فإن لم يكن في دراسة عمر إلا أن نرى رجلاً عادلاً بالغًا في عدله ، قويًا بالغًا في قوته ، معجبًا بالبطولة بالغًا في إعجابه ، مستقلاً بالرأي بالغًا في استقلاله ، لكفى بذلك ظفرًا لعلم الأخلاق»[٣].

وفي الأمثلة السابقة نجد أن التكرار قد وقع في لفظة بعينها داخل مجموعة من الجمل المتوالية التي تندرج تحت فقرة واحدة ، هذا التكرار يقوم بربط الجملة الأولى بالجملة الثانية ، والجملة الثانية بالجملة الثالثة وهكذا .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

والتكرار بهذا الشكل يعد ضربًا من ضروب الإحالة القبلية ، بمعنى أن الثاني يحيل إلى الأول ، ومن ثَمَّ يحدث الربط .

فكون الكاتب يلح على لفظ بعينه ويكرره بصورة منتظمة يؤكد لنا رغبته العارمة في ترسيخ فكرة بعينها في ذهن القارئ .

فتكرار لفظ (كلمة) في المثال الأول بهذه الصورة يعد إشارة لنا من الكاتب على أهمية الوصف الوارد بالعبارة ، هذا الوصف الذي وسم به عمله ، ودارت حوله فصول الكتاب ، هذا الوصف هو كلمة (عبقري) .

وأرى أن العقاد قد كرر لفظ (رجل) في المثال الثاني ثلاث مرات في ثلاث جمل متوالية ، سعيًا منه إلى ترسيخ ذلك المعنى الكبير الذي يضمه لفظ (رجل) ، وكأن تكرارها بهذا الشكل المنتظم يؤكد اتسامه بها من ناحية ويؤكد ندرتها من ناحية أخرى .

وتكرار كلمة (بالغًا) في المثال الثالث في أربع جمل متتالية داخل فقرة واحدة بصيغة الوصف (اسم الفاعل) يؤكد أصالة هذه الصفة فيه ويثبتها له (عدله ، قوته ، إعجابه بالبطولة ، استقلاله) .

وهذا الاستقرار والتمكن لهذه الصفات لا يوجد تفاوت بينه من حيث الزيادة والنقصان فتساوت هذه الصفات في شخصيته ، تساو أدى إلى عدم التناقض ، وعدم طغيان إحداها على الأخرى .

٢- تكرار الاسم بين فقرتين متتاليتين :

مثل قول العقاد :

« ومن المألوف في الطبائع أن الرجل الذي يقسو وهو معتصم بالواجب قلما ينطبع على القسوة ، ولا سيما إذا كان الواجب عنده شيئًا عظيمًا يزيل كل عقبة ويبطل كل حجة ، ويقطع كل ذريعة فهو إنما يعتصم بالواجب في هذه الحالة كما يعتصم الإنسان بالحصن المنيع كلما خشي أن تقتحم عليه طريقه ،

ولولا خوف الرحمة أن تغلبه لما كانت به حاجة إلى ذلك الحصن المنيع ، ولاسيما حين يكون حصنًا بالغًا في المنعة كما كان الواجب عند عمر ابن الخطاب .

أرأيت هذا الرجل الصارم قاسيًا قط إلا باسم واجب أو في سبيل واجب ؟

كلا ما نذكر أننا سمعنا رواية واحدة من روايات شدته إلا لمحنا الواجب قائما إلى جانبها يزكيها ويسوغها .

ومن كانت القسوة طبعًا فيه فما هو بحاجة إلى واجب يغريه بالقسوة ، بل في حاجة إلى واجبات عدة تنهاه عنها وتغريه باجتنابها »[1].

نرى أن كلمة الواجب قد تكررت في الفقرة الأولى أربع مرات ، وقد اقترن هذا التكرار بمادة (عصم) مرتين : (وهو معتصم بالواجب) و(فهو إنما يعتصم بالواجب) وقد جاءت هذه المادة في المرة الأولى بصيغة اسم الفاعل (معتصم) لتدلل على استقرار هذه الصفة وثبوتها في هذه الشخصية ، واقترنت لفظة (الواجب) في المرة الثانية بصيغة المضارع (يعتصم) لكنها سبقت بـ (إنما) التي أكدت أن هذه الصفة أصلية فيه ومعلومة لدينا أيضًا .

فتكرار لفظ (الواجب) واقترانه بمادة (عصم) أدار المعنى في الفقرة الأولى في فلك واحد ، وقام العقاد بترسيخ هذا المعنى في ذهن القارئ بداية ، ثم أثبته للفاروق في المرة الرابعة « ولا سيما حين يكون حصنًا بالغًا في المنعة ، كما كان الواجب عند عمر بن الخطاب » ومن ثَمَّ ظهر دور تكرار اللفظ في ربط جمل الفقرة الواحدة .

ولكن هذا التكرار المتتابع قد يدفع القارئ إلى أن يصف الفاروق بـ(القسوة)، فجاء العقاد في الفقرة التالية ليدفع هذا الوهم عن ذهن المتلقي عن طريق تكرار كلمة (الواجب) أربع مرات أيضًا ـ كأننا أمام ميزان دقيق ـ ليؤكد

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢٨ .

أن هذا الحزم وهذه الصرامة العمرية لا تظهر إلا (باسم واجب أو في سبيل واجب) (*) .

فالفكرة التي سيطرت على العقاد هي التي دفعته إلى هذا التكرار عبر فقرتين متتاليتين ، فظهر الربط بينهما وكأننا أمام عقد مفصل على حد تعبير حازم القرطاجني .

ومن أمثلة ذلك أيضًا :

« وخليق بمثل هذا الرجل ألا يكون له شعار غير شعار الجند حيث كانوا: الأمر هو الأمر ، والطاعة هي الطاعة .

وخليق بالناس أن يفهموا ذلك عنه بغير بيان ، لاسيما إذا فهموا قبل ذلك أنه متى وجبت الطاعة كان هو أول من يطيع ، ذلك هو الجندي المطبوع».

وفي المثال السابق تكررت كلمة (خليق) مرتين ، ساعية إلى تأكيد صحة ما توصل إليه العقاد ، وأعني به مفتاح شخصية عمر وهو (طبيعة الجندي) ، والعقاد يفرض ـ كعادته ـ هذه النتيجة على عمر بن الخطاب نفسه في الفقرة الأولى .

فتكرار كلمة (خليق) خلقت جوًّا يوحي بالحتمية ، حتميته فرضت أولاً على شخصية عمر بألا يكون له شعار غير شعار الجندي ، وامتدت هذه الحتمية في الفقرة الثانية لتشمل المتلقين ، فعليهم أن يتوصلوا لنفس المفتاح الذي توصل إليه العقاد (بغير بيان) على حد قوله . فالعقاد سعى من خلال هذا التكرار إلى ربط الفقرتين بما يشبه الحصار ، حصار للمتلقي من جهة وللشخصية العمرية من جهة أخرى .

(*) لمزيد من الأمثلة انظر عبقرية عمر ٨٥ ، ١٨١ ، ١٦٩ ، ١٨٦ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ .

ب ـ تكرار الفعل

ومن أمثلة ذلك :

١- « فقد تُزين له نفسه ، أو تُزين له رعيته أن يستقل بالأمر وينتحل لذلك ما شاء من المعاذير »[١].

٢- « ... وكفى بسيرة واحدة أن تقرر لنا هذه الحقائق التي تستكثر على عشرات السير ، وهي أن القوة لا تُناقض العدل ، وأن البطولة لا تُناقض الإعجاب ، وأن الإعجاب لا يُناقض الاستقلال »[٢].

ولقد لجأ العقاد إلى تكرار الفعل (تزين) في المثال الأول لشمول جوانب التزيين التي قد يحاط بها الوالي المقتدر . فامتداد معنى التزيين هو الذي ربط بين الجملتين ، ودفع العقاد لتكرار الفعل .

أما تكرار الفعل المنفي (لا تناقض) في المثال الثاني كان هدفه التوكيد على الاتساق والتساند الموجود بين القوة والعدل ، وبين البطولة والإعجاب ، وبين الإعجاب والاستقلال .

وتكرار الفعل في المثال الأول عمل على ربط جملتين متتاليتين ، وفي المثال الثاني ربط بين ثلاث جمل متوالية عن طريق امتداد أثر نفي الفعل المضارع .

الجمع بين تكرار اللفظ ومادته المعجمية :

لم يكتف العقاد بتكرار اللفظ فقط بل كرر اللفظ وإلى جانبه مادته المعجمية، وقد ظهر ذلك من خلال فقرة واحدة ، ومن خلال عدة فقرات ، بل امتدت في مواضع أخرى إلى عدة صفحات متوالية .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(أ) تكرار اللفظ ومادته المعجمية داخل الفقرة الواحدة :

١- « وكانت **شجاعته** في دينه أندر **الشجاعات** في النفوس الآدمية ... لأنها **الشجاعة** التي يواجه بها تهمة الجبن وهو أرذل من الموت عند الرجل الشجاع ، فإن كثيراً من الناس ليعدلون عن الصواب الذي يظهرهم بمظهر الخوف ليقال إنهم **شجعان** ، وإنهم في عدولهم عنه لمن الجبناء المستبعدين للثناء ، ولم يكن عمر يعدل عن صواب فهمه ولو قليل في شجاعته ما قيل وتلك **أشجع الشجاعات** »[١] .

٢- « فبعد جمع القرآن لا نعرف عملاً يقترن به ويلازمه ويعد من **أسس** الدولة العربية كالعمل على تصحيح اللغة وحفظها من الخلط والفساد ، وكلاهما عمل لا يفطن إليه إلا من طبع على سليقة **التأسيس** وأخذ بها من أصولها ، وكلاهما فطن إليه هذا **المؤسس** الكبير على أهون ما يكون من البساطة والسهولة .... »[٢] .

٣- « كان محمد عليه السلام كما نعلم قدوة في الدعة وحسن **المعاملة** لجميع صحبه وتابعيه وكان **يعاملهم** جميعًا **معاملة** الإخوان والزملاء ، فلا يغمرهم برهبة التفاوت الشاسع والتفوق البعيد... »[٣] .

٤- « هذه **المراجعة** كانت من خلائق عمر التي لا يحيد عنها ولا يأباها النبي عليه السلام ، وكثيراً ما جاراه واستحب ما أشار به وعارض فيه . فلا جرم يراجع النبي في كل عمل أو رأي لم يفهم مأتاه ومرماه ما أمكنته **المراجعة** ، وما قلقت خواطره حتى تثوب إلى قرار »[٤] .

٥- « وقد تواترت أقوال الصحابة في عمر بما يشيد بفضله **ويشهد** بقدره ويكبر في أعين الناس أكبر من تقال فيه . لأن الذين قالوها أناس لهم حلوم راجحة ، وألسنة صادقة ، وعقيدة راسخة ، وقلوب لا تهاب أن تقول

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٧٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٦ .
(٣) المرجع السابق، ص ١٢١ .
(٤) المرجع السابق، ص ١٢٦ .

الحق في إنسان . ولكن **الشهادتين** اللتين **شهد** بهما الواقع أدل على قدر عمر بين الصحابة من كل ما قيل . لأن **شهادة** الواقع هي **الشهادة** التي يقولها الصادق باختياره ويحاول الكاذب أن يكذب فيها فلا يستطيع . وإنما يجوز الصدق والكذب فيما يملكه اللسان أو يملكه الشعور . أما **الشهادة** التي تعبر عن نفسها بلغة الواقع فهي قائمة من وراء كلام الألسنة ومن وراء هوى النفوس : إنكارها كإنكار المحسوس الذي يقع عليه الأيدي ولا تغمض عنه العيون»[1] .

ونلاحظ من خلال الأمثلة السابقة أن العقاد لجأ إلى تكرار لفظة بعينها تكرارًا محضًا ، إضافة إلى تكرار مادتها المعجمية .

ففي المثال الأول ظهر التكرار المحض لكلمة (الشجاعات) ووردت في بداية الفقرة ، وقد سبقتها صيغة التفضيل (أندر)، وفي نهاية الفقرة ورد قبلها صيغة التفضيل (أشجع) . فالعقاد بدأ الفكرة التي تدور حولها الفقرة بنتيجة كعادته ـ وهي ندرة الشجاعة العمرية ـ ثم علل ذلك ، فدارت الفقرة حول هذا التعليل ، وتبع ذلك تكرار لمادة (شجع) .

وختمها بقوله (وتلك أشجع الشجاعات) ، وربط اسم الإشارة (تلك) بين نهاية الفقرة وبدايتها ، فالعقاد يؤكد للقارئ صحة ما توصل إليه في بداية الفقرة .

وأرى أن العقاد قد استخدم صيغة التفضيل (أندر) في بداية الفقرة لأن فيها شيئًا من الإبهام حول سبب هذه الندرة فتبع ذلك بالتعليل مستخدمًا مادة (شجع) ، أما بعد أن بيَّن سبب هذه الندرة جاء في نهاية الفقرة مشتقًّا صيغة التفضيل من مادة (شجع) فقال : (وتلك أشجع الشجاعات) كنوع من التأكيد على هذه الشجاعة باستخدام مادتها ، خاصة بعد أن بين سبب هذه النتيجة التي توصل إليها .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٤٣ .

وهكذا رأينا أن تكرار اللفظ ومادته المعجمية عمل على ربط جمل الفقرة بأكملها .

- تكرار اللفظ ومادته المعجمية بين أكثر من فقرة :

ومن أمثلة ذلك :

«وأول ما يلاحظ عليها تعدد الصفات الغالبة في نفس واحدة ، وصفة واحدة منها قد تغلب على النفس ـ وليست بصغيرة ـ فتنعتها بنعتها وتستأثر بتمييزها والدلالة عليها .

ثم يلاحظ عليها أن الصفة منها تتصل بعمر بن الخطاب فتأخذ منه وتصطبغ بصبغته ، حتى كأنها لم تعهد في غيره على شيوعها وكثرة الموسومين بسماتها.

إلا أن هذا وذاك ليس بأعجب الملاحظات ولا أندرها في السياق ، وإنما العجب العاجل حقًا هذا **التركيب** الذي ندر مثيله جدًا بين خصائص النفوس كائنًا ما كان نصيب صاحبها من العظمة والامتياز .

وأحرى بنا أن نقول «هذه **التركيبة**» ولا نقول هذا **التركيب** ، لأن صفاته الكبيرة **تتركب** كما **تتركب** أجزاء الدواء الذي ينفع لغرض واحد مفهوم ، والذي ينقص جزء منه فينقص نفعه .....

وكذلك تنظر إليها **مركبة** متناسقة فيبدو لك جانب الدهشة والإعجاز ، أو جانب الندرة التي يعز تكرارها في طبائع النفوس ، لأنها **تتركب** لاستيفاء الغرض منها جميعًا واستيفاء الغرض من كل منها على حدة ، وهذا هو النادر جد الندرة في **تركيب** الأخلاق»[1] .

وكما رأينا في المثال السابق فإن الفقرات الثلاث اشتملت على تكرار لفظ (التركيب) وتكرار لمادته المعجمية (التركيب ، تتركب ، مركبة) .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٤٦ ، ٤٧ ولمزيد من الأمثلة انظر ص ١٤ ، ص ٩-١١ ، ص١٦-١٩ ، ص ٣٤-٣٥ ، ص ٣٩ ، ص ١٢٠-١٢٢ .

وقد ساعد على شيوع هذه المادة في الفقرات الثلاث امتداد الفكرة عبر هذه الفقرات ، ففي الفقرة الأولى تحدث العقاد عن عجبه من اتساق الصفات العمرية التي خلقت (تركيبًا) نادرًا ، ثم عاد في الفقرة الثانية مستدركًا هذا الوصف بآخر وهو (التركيبة) وكأنها أقرب لفهم المتلقي ، وانتقل في الفقرة الثالثة إلى تعليل هذا التناسق فأدار الفقرات الثلاث حول «التركيب» . ومادته ، ومن ثَمَّ نشأ الربط بين الفقرات الثلاث عن طريق التكرار .

٣- تكرار جملة كاملة :

تنقسم إلى :

(أ) تكرار جملة كاملة داخل فقرة واحدة :

ومن أمثلة ذلك :

١- «لا تناقض في خلائق عمر بن الخطاب ، ولكن ليس معنى ذلك أنه أيسر فهمًا من المتناقضين ، بل لعله أعضل فهمًا منهم في كثير من الأحوال . فالعظمة على كل حال **ليست بالمطلب اليسير** لمن يبتغيه ، **وليست بالمطلب اليسير** لمن ينفذ إلى صميمه ويحتويه»[(١)] .

٢- «ودخل أبو بكر **وهي تضرب** ، ثم دخل عثمان **وهي تضرب** ، والصحابة مجتمعون»[(٢)].

٣- لقد سمع وهو خليفة يقول كالساخر وما هو بساخر «بخ يا ابن الخطاب» أصبحت أمير المؤمنين .

أكان يقولها لأنه كان يجهل أنه أكفأ العرب للخلافة بعد صاحبيه ؟ كلا .. بل كان يقولها لأنه يعرف النظر إلى المثل الأعلى ... **يعرف الإعجاب** بما فوقه ، **يعرف** محمدًا **ويعرف** أن اللحاق به أمل لا يطال ، **يعرف الإعجاب**

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .

بطلاً معجبًا ببطل ، ويشاء فضله أن تحصى له هذه بين أصدق شواهد البطولة فيه»[1].

٤- «ليس بالرجل الذي يحب تواضع المرائين ، وليس بالرجل الذي يجهل مقداره أو يهاب مخلوقًا بغير الحق ، وبغير الإعجاب»[2] .

فتكرار الجملة المنفية في المثال الأول أشاع جوًّا يؤكد صعوبة التحلي بعظمة الشخصية التي تحلى بها الفاروق ، ويتوازن مع ذلك صعوبة فهم هذه العظمة واحتوائها .

فتكرار الجملة خلق نوعًا من التوازن في الحالتين ، ومن ثَمَّ ظهر دور تكرار الجملة في الربط . وفي المثال الثاني ، نرى تكرار الجملة الحالية (وهي تضرب) أشاع جوًّا من الاستمرارية امتد أثره للجملة التالية حينما جاء الخبر بصيغة اسم الفاعل (مجتمعون) الذي أعطى معنى الثبات والاستمرارية .

(ب) تكرار جملة كاملة بين فقرتين متتاليتين :

١- «استأذنه في العمرة فأذن له وقال «يا أخي لا تنسنا من دعائك» فما زال عمر يقول بعدها كلمة ذكرها : «ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس ، لقوله يا أخي !

شهادة لعظمة محمد أن يؤاخي الناس كبارًا وصغارًا لا ينسون ما في مؤاخاته من فخر وغبطة ، وما بينهم وبينه من فارق بعيد .

وشهادة لعظمة عمر أنه أهل لذلك الإخاء لأنه يدرك ما فيه من عظمة ، ويشعر بما فيه من رضوان»[3].

٢ - «**فمن شاء أن يخبط بالظن** فله أن يحسب أن عمر قد عزله لغير سبب يستوجب عزله ، لأن عمر نفسه قد صان على القائد الكبير كرامته وأمسك

(١-٣) عبقرية عمر ، ص ١٢٢ .

الخوض في أمر عزله بعد الفراغ من ضجته الأولى ، وكتب إلى الأمصار يبرئه من الخيانة ويعلنهم .....

فمن شاء أن يخبط بالظن هنا يخبط ما شاء وله شبهة فيه ، ولكنه لا يرجع إلى الوقائع من قديمها وحديثها حتى تسقط شبهاته بين يده ، ويوقن أن عمر .....»[1].

٣ - «**يا لروعة** الشلال الزاخر ؟

يا لروعة السابح القاهر الذي لوى به ليا كأنما قبض منه على عرف ، وأخذ له بعنان!»[2].

ب ــ تكرار جملة كاملة بين عدة فقرات متتالية :

١- **فلا نقص** في العدل كالنقص في كل عدل يعمى عن الطبيعة البشرية ويذهل عن ضعف الإنسان .

ولا نقص في الغيرة كالنقص في كل غيره ظالمة قاسية كأنها ضراوة وحش وليست بحماسة روح .

ولا نقص في أولئك كله كالنقص في جميع الصفات بغير الفطنة التي تخرج بها من ظلام إلى نور ، وبغير الإيمان الذي يقف منها موقف الحارس الساهر والرقيب الأمين»[3].

٢- **وقد يستلزم** تلفيق الحكاية أن تكون مصر وأخبارها موضع اهتمام ومثار قيل وقال ، ولم تكن مصر قبلة أنظار العالم كما كانت في أوقات الحروب الصليبية ، يوم كانت هي ميدان الفصل ومناط الظفر والهزيمة بين جيوش الدنيا المحشودة فيها أو على أبوابها .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٥٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

وقد يستلزم كذلك أن يكون عصر حزازة بين الإسلام وخصومه كما كان عصر الحروب الصليبية وما قبله بقليل .

وقد يستلزم مع جميع أولئك أن يشترك في القيل والقال حافظو الكتب الإغريقية في بيزنطية وشواطئ آسيا الغربية ، وهي البلاد التي كانت موطئ أقدم الجيوش في الكر والفر والقدوم والإياب ، ومنها تدفق حافظو الكتب إلى أوروبا عندما أغار ترك بيزنطة من تلك الأرجاء»[1] .

٣- «**كان عادلاً** لأنه ورث القضاء من قبيلته وآبائه ، فهو من أنبه بيوت بني عدي الذين تولوا السفارة والتحكيم في الجاهلية وراضوا أنفسهم من أجل ذلك جيلاً بعد جيل على الإنصاف وفصل الخطاب ، وجده نفيل ابن عبد العزى هو الذي .....

وكان عادلاً لأنه قوي مستقيم بتكوين طبعه ، وإن شئت فقل أيضًا بتكوينه المورث إذ كان أبوه الخطاب وجده نفيل من أهل الشدة والبأس ، وكانت أمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة قائد قريش في كل نضال فهو على خليقة الذي لا يحابي لأنه لا يخاف ، والذي يخجل .. وكان عادلاً لأن آله من بني عدي قد ذاقوا طعم الظلم من أقربائهم بني عبد شمس وكانوا أشداء في الحرب يسمونهم لعقة الدم ، ولكنهم غلبوا على أمرهم لقلة عددهم بالقياس إلى عدد أقربائهم، فاستقر فيه بغض القوى المظلوم للظلم وحبه للعدل ....

وكان عادلاً بتعليم الدين الذي استمسك به وهو من أهله بمقدار ما حاربه وهو عدوه ...

كان عادلاً لأسباب كأنه عادل لسبب واحد لقلة التناقض فيه ، وربما كان تعدد الأسباب هو العاصم .....»[2] .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٨١ .

(١) المرجع السابق ، ص ٢١ ، ٢٢ .

ونلاحظ في تكرار الجملة بين فقرتين أو أكثر أن الجملة المكررة جاءت في بداية الفقرة ، كأنه يؤكد بذلك استمرار الفكرة المطروحة في الفقرة السابقة عليها .

مما أبرز مسألة الربط بين الفقرات عن طريق تكرار جملة معينة من بدايتها.

وهكذا الحال أيضًا في تكرار جزء من الجملة أو تكرار متعلق الجملة .

٤- تكرار جزء من الجملة :

ومن أمثلة ذلك :

١- « **إما أن يكون** ابن العاص ونظراؤه لا يثورون ويعلمون من هو عمر وما هي عقباهم إذا ثاروا عليه .

وإما أن يكون عمر لا يخشى تلك الثورة ولا يعبأ بها ... **وإما أن يكون** الأمر في ضميره وفي ضمائرهم يجري على البديهة التي لا خفاء بها »[(١)] .

٢- « ومن الحق **أن نضيف هنا** أن الإيمان القوي ليس بمستغرب في الطبيعة الجندية ، بل ربما كانت طبيعة الجهاد أقرب شيء إلى طبيعة الإيمان .

وأن نضيف هنا استدراكًا آخر لعله أدعى إلى البحث من القول في الجهاد والإيمان »[(٢)].

٣- **فكان شأنه** مع من حاربوه شأن المحارب الشريف ، ولن ينتظر محارب من محارب إلى آخر الزمان معاملة أقوم ولا أصدق من معاملة عمر لمحاربيه.

وكان شأنه مع من صالحوه وعاهدوه أن يفي بعهدهم ويخلص في الوفاء به إخلاص من يطالب نفسه قبل أن يطالبوه ، ومن يراقب نفسه فيه قبل أن يراقبوه »[(٣)].

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٤١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٩ .

٥- تكرار خاص بمتعلق الجملة :

ومن ذلك :

١- « **على هذا الوجه** وحده ينبغي أن نفهم كل علاقة كانت بين عمر وبين أحد من أكابر الصحابة التابعين ، فهو القسطاس الذي لا يجور ، وكأنه لا يعرف الجور لو شاء .

بل على هذا الوجه وحده نفهم كل علاقة بينه وبين أحد من عامة المسلمين.....

بل على هذا الوجه ينبغي أن نلتمس التأويل في محاسبات عمرو ومعاملاته إذا وقع منها ما يحتاج إلى تأويل... »[(١)] .

٢- « **فعلى المرأة** كانت له غيرة اشتهر بها وعدت من دلائل شدته عليها ، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ « إن الله غيور يحب الغيور ، وإن عمر غيور ».

وعلى المرأة ومن المرأة كان حذره أن تتخايل العيون وتتبرج في مضطرب الفتون »[(٢)].

٦- التوازي التركيبي :

وأعني به تكرار أنماط تركيبية تختلف في مفرداتها وتتوازى في مكوناتها، والتوازي بذلك « يتضمن بالتأكيد نوعًا من التشابه .... ويمكن النظر إليه كضرب من التكرار ، وإن يكن تكرارًا غير كامل »[(٣)].

وقد ظهر التوازي لدى العقاد في عبقرية عمر على مستوى جزئي ، بمعنى أنه لم يظهر في فصل كامل بل ظهر على مستوى فقرات النص ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٥٢ . (٢) المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(٣) تحليل النص الشعري (بنية القصيدة) يورى لوتمان، ترجمة: دكتور محمد فتوح أحمد، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ١٢٩ .

« ومن الصغائر الآدمية التي كثيرًا ما يطيقها الإنسان العظيم ويبرم بها الرجل العظيم كل غرور صبياني يحيك بنفوس الناس ، وهي ضروب ليست لها نهاية: **غرور الشاعر بأماديحه ، وغرور الفنان بصنعته ، وغرور المرأة بجمالها ، وغرور الشيخ بتراثه ، وغرور الأحمق بخيلائه ، وغرور الجاهل بعلمه** »[1].

فالبيئة النحوية التركيبية السابقة تكررت ست مرات :

خبر لمبتدأ محذوف (مضاف إلى معرفة) + شبه جملة (جار ومجرور متعلق بالخبر)

والهدف من التكرار هنا هو تفصيل ضروب الغرور التي تعتري النفس البشرية .

مثال آخر :

« ونحن في عصر شاعت فيه فلسفات مسهبة تنكر الرحمة والعدل على الأقوياء الغيورين وتحسبهما حيلة من حيل الطبع في خلائق الضعفاء لاستدامة البقاء .

كأن رحمة الضعيف تنفعه إذا رحم ، وكأن عدل الضعيف ينفعه إذا عدل أو كأن القوي يخلق نفسه لنفسه ولا يخلق قويًّا لتفيد قوته فائدتها في خدمة المحتاجين »[2] والبنية التركيبية لهذا التوازي :

(كأن + اسمها (مضاف إلى معرفة) + خبرها (جملة فعلية) + (جملة شرطية محذوفة الجواب) .

ومثال ثالث :

« ومن المألوف في الطبائع أن الرجل الذي يقسو وهو معتصم بالواجب قلما ينطبع على القسوة ، ولاسيما إذا كان الواجب عنده شيئًا عظيمًا **يزيل كل عقبة ، ويبطل كل حجة ويقطع كل ذريعة** »[3].

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٣١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

والتوازي التركيبي نتج عن تكرار هذه البنية :

فعل مضارع + الفاعل ضمير مستتر + مفعول به (اسم عام مضاف إلى نكرة) .

ويقوم التوازي بالربط بين المقاطع المتشابهة لأنه يعد نوعًا من التكرار كما ذكرت من قبل ، إضافة لذلك فإنه يقوم بوظيفة تداولية خطابية ألا وهي التوكيد على فكرة معينة .

فالعقاد يرسخ في أذن المتلقي بنية تركيبية معينة تحمل المعنى الذي يريد التأكيد عليه مثل أهمية الواجب في المثال الثالث .

* * *

الفصل الثالث

الحبك في نص عبقرية عمر

المبحث الأول

انتماء كلمات العبقرية إلى حقل دلالي متقارب

للنص الأدبي العديد من المفاتيح التي تؤهلنا لفك شفرته ومن هذه المفاتيح «أن تشيع في النص الواحد بعض المفردات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد»[1].

هذه المفردات التي «يكسبها التركيب في النص معاني مختلفة تؤدي إلى تماسك النص وبنائه في جانب وإلى إنتاج دلالته من جانب آخر»[2].

«ويتكون المجال الدلالي أساسًا من مجموعة من المعاني التي تشترك في مكونات دلالية معينة ..... وبالنسبة لأية لغة ، فإن المجالات الدلالية تتكون من المعاني التي بينها مكونات دلالية مشتركة»[3].

وهذه المكونات الدلالية المشتركة يمكن وضعها تحت لفظ عام يجمعها ، وإذا نظرنا إلى عبقرية عمر وجدناها ابتداء من عنوانها تبدأ في رسم إطار لها تسير فيه طيلة فصول العبقرية .

وهذا الإطار يتضمن رصد صفات الشخصية العمرية وسردها بصورة معينة تؤهل القارئ في نهاية فصولها إلى الإقرار بعبقرية الفاروق .

(١،٢) الإبداع الموازي ، دكتور محمد حماسة ص ١٨٩ .

(٣) ديوان عنترة دراسة دلالية دكتور صبري إبراهيم السيد محمد، ط دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ ص ٣١٩ .

وهذه الصفات لم يسردها العقاد سردًا اعتباطيًّا بل سردًا بطريقة تؤكد للمتلقي أنه كان يسعى من خلال هذا الترتيب الذي وردت به إلى إقناع القارئ بفكرة معينة .

ومن ثَمَّ فلن أدرس هذه الصفات منعزلة عن بعضها بل سوف أدرسها في سياقها الذي وردت فيه داخل العبقرية ، وبحسب ترتيب ورودها في العبقرية ، وذلك لأننا «لكي نفهم معنى كلمة يجب أن نفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًّا»[1].

ومن هذا المنطلق سوف أستعين ببعض الآراء التي وردت في نظرية الحقول الدلالية التي تساعدنا في إيجاد العلاقة التي تربط بين هذه الصفات .

ومن أهم هذه المبادئ التي عليها النظرية أنه :

١- لا يصح إغفال السياق التي ترد فيه الكلمة .

٢- «استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي»[2].

ومن ثَمَّ حاولت جمع الصفات الواردة داخل العبقرية بالترتيب الذي وردت به .

ولا أسعى في هذا المضمار إلى تكوين حقل دلالي يصلح أن يكون مادة لأحد المعاجم ، ولكني أبحث عن التقارب الدلالي الموجود بين كلمات بعينها داخل سياق معين ، وكيف أسهم هذا التقارب الدلالي في تماسك النص ؟ وكيف أعطى هذا التقارب الدلالي خصوصية لنص العبقرية بحيث إننا لو حذفنا أية فقرة منها واستبدلناها بأخرى ظهر للمتلقي تنافرها مع نص العبقرية .

---

(١) علم الدلالة ، دكتور أحمد مختار عمر ، ط الثانية ١٩٩٨ ، عالم الكتب ، القاهرة، ص٧٩، ٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٠ .

في البداية سأعرض لهذه الصفات بحسب ترتيب ورودها :

صفات العبقري

رقم الفصل	عنوان الفصل	الصفات حسب ورودها داخل الفصل
١	عبقري	قوي النفس ـ مفطور على العدل ـ شديد .
٢	رجل ممتاز	رجل ممتاز ـ مهيب ـ رائع المحضر ـ سريع البكاء بين يدي الله ـ يتسم بالفراسة ـ رجل نادر .
٣	صفاته	رجل لا كالرجال ـ رجل عبقري ـ رجل ممتاز ـ رجل قوي ـ عظيم . (كان عادلاً ـ كان رحيمًا ـ كان غيورًا ـ كان فطنًا ـ كان وثيق الإيمان ـ عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) . كراهيته رياء الناس ـ التريث في إقامة الحدود . (خشن الملمس ـ صعب الشكيمة ـ جافى في القول إذا استغضب ـ الرجل الحازم الصارم في سبيل الواجب ـ مودة عمر ـ فطنته ـ استقامة عمر . معرض عن زخارف الدنيا ، صاحب (حيوية الروح ـ حيوية الخلق ـ حيوية الذوق ـ حيوية العقل ـ حيوية الجسد) .
٤	مفتاح شخصيته	الشجاع ـ الحازم الصريح ـ الخشن ـ المطيع ـ الغيور على الشرف ـ السريع النجدة ـ المحب للنظام ـ العارف بالتبعات والمسئوليات .
٥	إسلامه	رجل قوي غيور عزيز في قومه ـ كان بليغًا ـ كان مستقيم الطبع ، مفطورًا على الإنصاف ـ صاحب زكانة وفراسة .

٦	عمر والدولة الإسلامية	مطبق لمبدأ الشورى والأناة في الاجتهاد . سخي في تقدير الأرزاق ـ كان عادلاً .
٧	عمر والحكومة العصرية	كان عادلاً ، وفيًّا لحق الصداقة .
٨	عمر والنبي	حبه للرسول ﷺ .
٩	عمر والصحابة	كان يتسم بالحكمة والإخاء .
١٠	ثقافة عمر	كان بليغًا ـ عالمًا بالجغرافيا .
١١	عمر في بيته	يعيش عيشة الكفاف ـ غيور على المرأة ـ ابن بار .

ومن خلال قراءة الباحثة لهذه الصفات وجدت أن العلاقة بينها لا تخرج عن :

١- الترادف Synonymy ٢- الاشتمال Hyponymy

أولاً : الترادف

يعرف أولمان المترادفات قائلاً هي « ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق »[(١)].

ولا أعني بهذا التعريف تصنيف قائمة بالمترادفات التي وردت في العبقرية بل أعني الصفات التي وردت في نص العبقرية واستخدمها العقاد في سياقات يبرز ترادفها في لغته وهو « ترادف معتمد على السياق ، حيث تظهر الكلمتان مترادفتين في سياق خاص »[(٢)].

---

(١) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة دكتور كمال بشر ، ط الثانية عشر ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ص ١١٩ .

(٢) علم الدلالة ، إطار جديد ، ف . ر بالمر ، ترجمة : دكتور صبري إبراهيم السيد ، ط دار قطري بن الفجاءة ، قطر ١٩٨٦ ، ص ٩٩ .

ففي الفصل الأول نجد العقاد قد وصفه بأنه (عبقري) «استنادًا لما روي عن الرسول ﷺ ، « ..... لم أر عبقريًا يفرى فرية»[1].

ووصفه في الفصل الثاني بأنه (رجل ممتاز) فقال :

« إلا أن عمر كان رجلاً ممتازًا بعمله ممتازًا بتكوينه . وكان وفاء شرط الامتياز والتفرد في عرف الأقدمين والمحدثين ، من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين .

إذا وصفته للأقدمين الذين يقيسون العبقرية بالفراسة والخبرة عرفوا من صفته أن الذي يوصف لهم رجل ممتاز أو رجل نسيج وحده»[2].

فالعقاد في العبارة السابقة عبَّر عن نجاح الفاروق في مقاييس العبقرية بوصفه أنه (رجل ممتاز) ولكنه لم يصرح بترادف هذين الوصفين في لغته مباشرة ، بل وضع المشابهة كنوع من التمهيد ، ودلل عليه بمواقف متعددة في حياة الفاروق إلى أن وصل إلى نهاية الفصل فقال :

« ..... هو رجل ممتاز ، وعبقري موهوب في جميع الآراء»[3].

فساوى بين كون العقاد رجلاً ممتازًا ورجلاً عبقريًا .

وفي الفصل الخاص بـ (صفاته) يتطرق العقاد لوصف آخر قائلاً :

« فإذا قلت إن عمر بن الخطاب رجل قوي فما زدت على أن تقول إنه رجل عبقري أو إنه رجل عظيم»[4].

فالعقاد يؤكد في هذا السياق أن وصف الفاروق بالعبقرية يتساوى مع وصفه بالقوة والعظمة ، وكان قد ذكر من قبل أن كونه رجلاً عبقريًا يعني أنه رجل ممتاز .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

فأصبحت الصفات : (ممتاز ـ قوي ـ عظيم) تترادف في لغة العقاد مع كلمة (عبقري) ، بحيث إننا إذا قرأنا كلمة (ممتاز) على سبيل المثال في أي سياق داخل نص العبقرية نفهم أن العقاد يشير إلى قوة عمر وعظمته وعبقريته .

وأرى أن العقاد قد لجأ إلى استخدام هذه الصفات بشكل يؤدي إلى ترادفها في لغته سعيًا منه إلى إيجاد وصف أقرب لذهن المتلقي يشرح مفهوم العبقرية لدى العقاد .

« فإذا ما تطرق الغموض مثلاً إلى كلمة من الكلمات بحيث تصبح غير وافية بالغرض ، فالغالب أن نلجأ إلى كلمة أخرى مرادفة لها لكي تسد هذا النقص »[1] .

٢- الاشتمال Hyponymy :

« والاشتمال يختلف عن الترادف في أنه تضمن من طرف واحد ، يكون (أ) مشتملاً على (ب) حيث يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي Toxonomic »[2] .

واللفظ المتضمن في هذا التقسيم يسمى :

١- اللفظ الأعم Hyperonymy

٢- الكلمة الرئيسية Head Word

٣- الكلمة الغطاء Cover Word

٤- اللكسيم الرئيسي Archlexeme

٥- الكلمة المتضمنة Superordinate Word »[3]

---

(١) دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان ، ترجمة : دكتور كمال بشر ، ص ١١٩ .
(٢) علم الدلالة ، دكتور أحمد مختار عمر ، ص ٩٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

وتبدأ هذه العلاقة في الظهور من الفصل الثالث الموسوم بـ (صفاته) الذي يفتتحه بالصفات المترادفة في لغته قائلاً :

« نحن على هذا أمام رجل لا كالرجال رجل عبقري ، أو رجل ممتاز من خاصة الخليقة الذين لا يعدون في الزمن الواحد بأكثر من الآحاد .

أنقول رجل قوي ؟ نعم هو رجل قوي لا مراء . وكل عظيم فهو قوي بمعنى من معاني القوة »[1]. ثم قام بسرد جملة من الصفات متتالية وهي أنه :

« كان عادلاً ، وكان رحيمًا ، ، وكان غيورًا ، وكان فطنًا ، وكان وثيق الإيمان، عظيم الاستعداد للنخوة الدينية »[2] .

ونلاحظ في العبارة السابقة أن هذه الأوصاف توالت باستخدام (واو العطف) عدا الوصف الأخير (عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) دون وجود سبب نحوي يمنع ذلك .

وأرى أن السبب في ذلك أن قوله (عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) يعد الكلمة الأشمل والأعم .

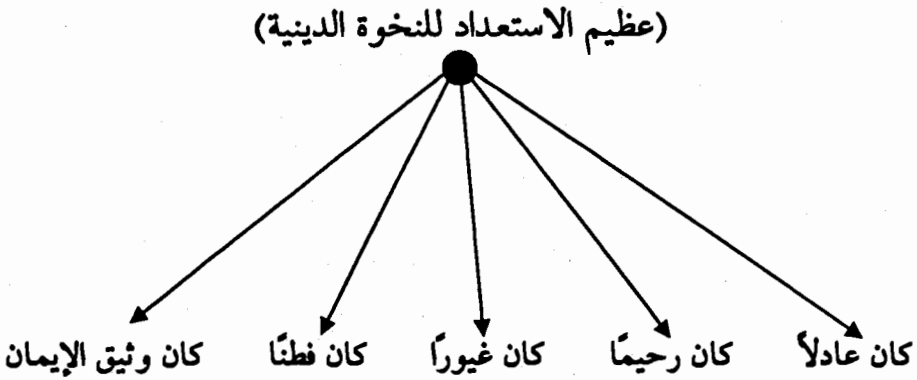

(١) عبقرية عمر ، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

وما يؤيد ذلك أن العقاد ذكر هذه الصفات في الفقرة التالية مباشرة دون أن يذكر أنه : (عظيم الاستعداد للنخوة الدينية) ، فقال :

« فالعدل والرحمة والغيرة والفطنة والإيمان الوثيق صفات مكينة فيه لا تخفى على ناظر »[1] .

ثم يذكر العقاد عدداً من الصفات هي :

« كراهيته رياء الناس ـ التريث في إقامة الحدود ـ خشن الملمس ـ صعب الشكيمة ـ جافي القول إذا استغضب ـ يقسو وهو معتصم بالواجب ـ الرجل الحازم الصارم في سبيل الواجب» .

وهذه الصفات ما هي إلا روافد لوصف أصيل فيه وهو أنه (كان عادلاً) .

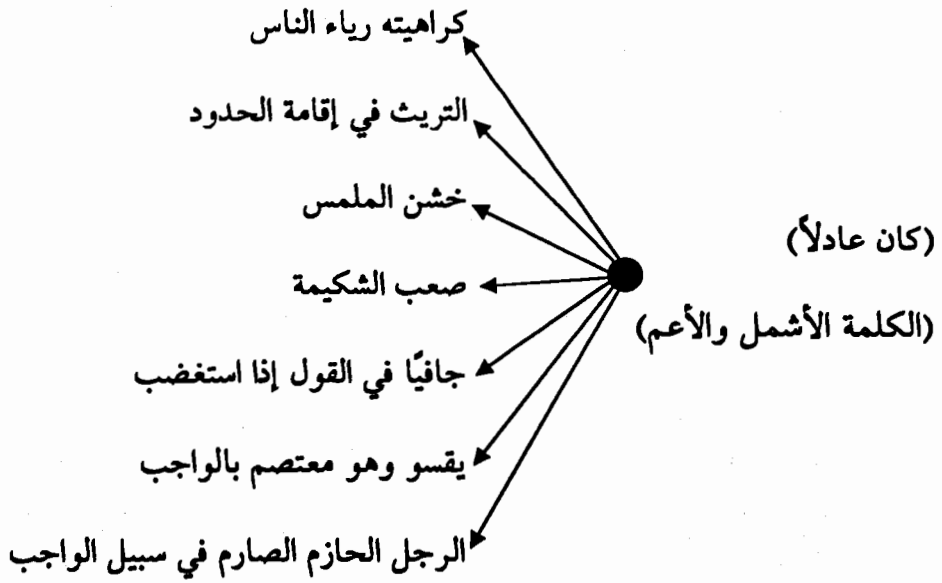

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ .

يؤكد العقاد أن هذا العدل لم يكن عدلاً آليًا يسير وفق قوانين صارمة لا تبالي بطبيعة البشر ، وإنما كان عدلاً مقترنًا برحمة ، ومن ثَمَّ كانت الصفة التالية للأوصاف السابقة مباشرة هي : مودة عمر ، والمودة فرع من فروع الرحمة .

الرحمة (الكلمة الأعم والأشمل) ⟵ المودة .

وفي الفصل الرابع الموسوم بـ (مفتاح شخصيته) يؤكد العقاد أن أوصاف الجندي في أمثل حالاته تنطبق على أوصاف الشخصية العمرية ، ومن ثَمَّ اعتبر (طبيعة الجندي) هي مفتاح شخصيته .

ومن هنا يمكننا اعتبار كلمة (طبيعة الجندي) هي الكلمة الأشمل والأعم لما تفرع عنها من صفات .

ثم وصفه العقاد بعد ذلك بالفطنة وقد أرجعها إلى كونها :

« فطنة فراسة فطرية كالغريزة التي تهدي على استقامة واحدة »[1].

فنرى العقاد قد قرن الفطنة بالاستقامة ، ووصف الاستقامة بأنها استقامة قدرة وحياة غلابة ، وهذا يؤكد أن عمر بن الخطاب قد طبقها على نفسه قبل غيره ، كأنه يعود بذلك للكلمة الأشمل والأعم (كان عادلاً) ، والذي يؤكد ذلك أن العقاد أشار لعمر بن الخطاب ولأول مرة بلقب (الفاروق) عقب وصفه بالاستقامة ، وذلك يعود إلى أن ضوابط الإيمان القوي في نفس عمر ابن الخطاب كانت بالغة القوة ، فدفعته للتميز بين الحق والباطل ، فكان لقبه الفاروق وهذا الوصف دفع العقاد لأن يأتي بوصف تال مرتبط به ، فالضوابط السابقة هي التي جعلت عمر (معرضًا عن زخارف الدنيا) ولكن صاحب حيويات أخرى :

(حيوية الروح ، وحيوية الخلق ، وحيوية الذوق ، وحيوية العقل ، وحيوية الجسد) .

---

(١) عبقرية عمر ص ٣٨ .

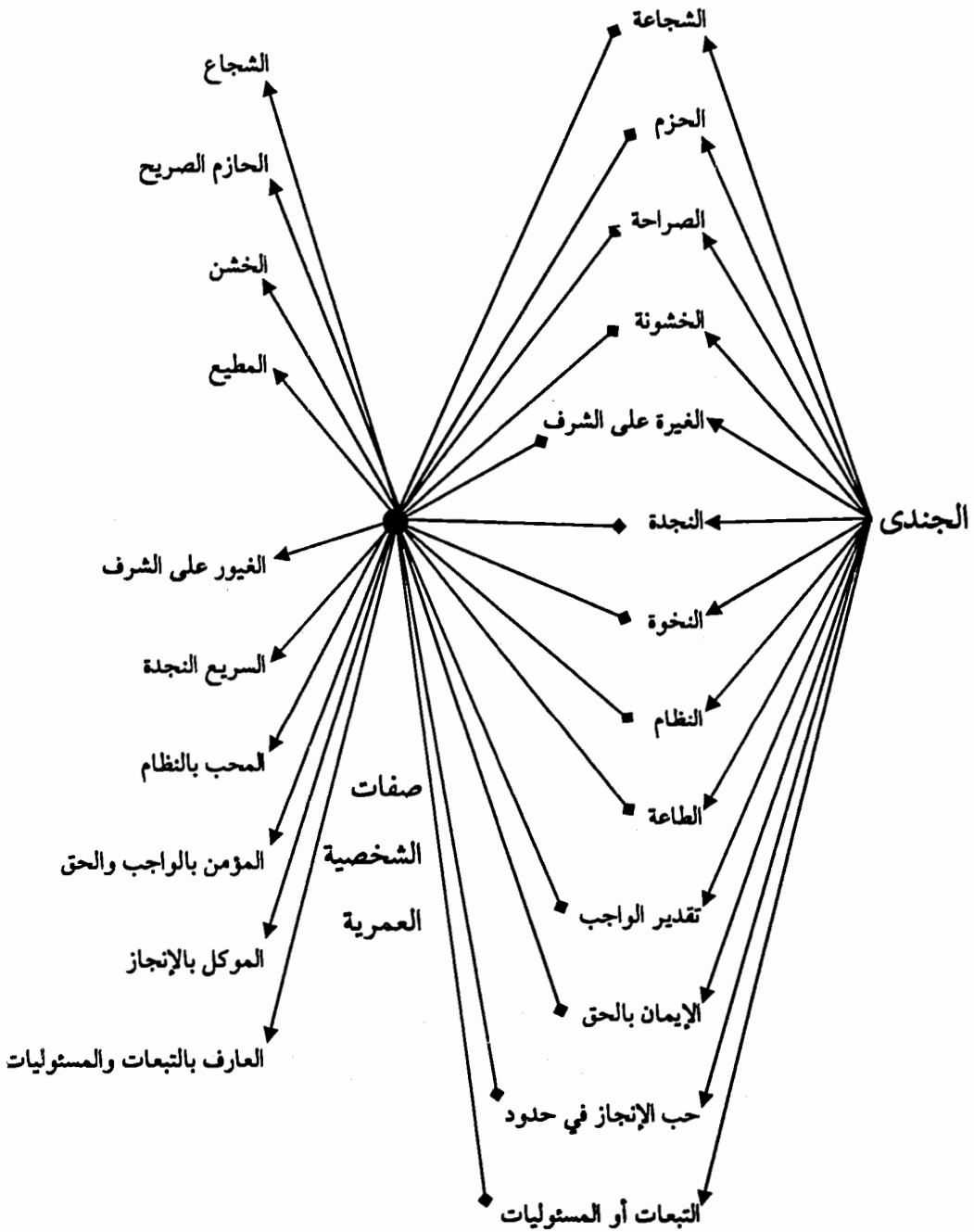
الجندى
الشجاعة
الحزم
الصراحة
الخشونة
الغيرة على الشرف
النجدة
النخوة
النظام
الطاعة
تقدير الواجب
الإيمان بالحق
حب الإنجاز في حدود
التبعات أو المسئوليات
صفات
الشخصية
العمرية
الشجاع
الحازم الصريح
الخشن
المطيع
الغيور على الشرف
السريع النجدة
المحب بالنظام
المؤمن بالواجب والحق
الموكل بالإنجاز
العارف بالتبعات والمسئوليات

ونرى العقاد من الفصل الأول وحتى الفصل الرابع يسرد لنا أوصاف الشخصية العمرية كلها ، ومن ثَمَّ جاء البحث عن سبب تواليها أو سبب ترتيبها بهذا الشكل ، أما الفصول من الخامس وحتى نهاية العبقرية فهي تقوم على سرد مواقف بعينها يستنبط منها العقاد صفات معينة وفي هذا الإطار أحاول إيجاد العلاقة بين الصفات الواردة بها والصفات الواردة في الفصول السابقة .

وبداية نجده في الفصل الخاص بـ (إسلام عمر) قد أرجع العقاد رفض عمر ابن الخطاب للإسلام إلى أنه رجل قوي غيور عزيز في قومه ، وقوته وغيرته التي أبعدته عن الإسلام كانت من أبرز سماته بعد دخوله الإسلام .

ثم ذكر العقاد بعد ذلك أن من أسباب إسلامه أنه كان صاحب زكانة وفراسة، وهذه الحاسة هي التي مكنته من إدراك بلاغة القرآن وإدراك اختلاف لغته عن لغة البشر وقال «ألم يكن في الجاهلية ينذر أن يعتكف ليلة من كل أسبوع»[1].

كأن بذور الإيمان كانت بداخل عمر ، وأضف إلى ذلك موقفه «يوم أتى لأم عبد الله بنت حنتمة وتركها تنطلق إلى الهجرة وهو يدعو لها بالسلامة»[2].

فطمعت آنذاك في إسلامه ، وفي هذا الموقف دلالة واضحة على رحمة عمر .

ومن خلال هذا الفصل نجد أن المواقف التي حشدها العقاد بداخله تدور حول الصفات التي أوردها متتالية في فصل سابق من أن عمر «كان عادلاً ، وكان رحيمًا ، وكان غيورًا ، وكان فطنا ، وكان وثيق الإيمان» .

وفي الفصل الخاص بـ (عمر والدولة الإسلامية) يورد العقاد عددًا من المواقف تدور حول اتسامه بمبدأ الشورى والأناة في الاجتهاد والسخاء في تقدير الأرزاق ، وأرى أن هذا يعود إلى أنه (كان عادلاً ـ كان رحيمًا) .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧١ .

وفي حديثه عن (عمر والحكومة العصرية) أدار المواقف كلها حول كونه (عادلاً) ، وقد فصل القول في تطبيق عمر لهذا العدل على نفسه في المقام الأول ، تلك النفس التي تصاغرت أمام عظمة النبي ﷺ « فعمر كان يحب محمدًا حب إعجاب ، ويؤمن به إيمان إعجاب ويستصغر نفسه إذا نظر إلى عظمة محمد ، وما هو فيما خلا ذلك بصغير في نظر نفسه ولا في نظر الناس »[1].

أما الفصل الخاص بـ (عمر والصحابة) فتكشف لنا المواقف الواردة فيه عن علاقته بالصحابة المتسمة بالإخاء والحكمة ، وهذا يعود إلى أنه (كان رحيمًا ـ كان فطنًا) ، ووصفه بالفطنة كان محور كلام العقاد حول (ثقافة عمر) .

أما الفصل الخاص بـ (عمر في بيته) فدار حول كونه (غيورًا) على المرأة بصفة خاصة ، وأنه كان ابنًا بارًّا وأبًا حنونًا وهذا يعود إلى أنه (كان رحيمًا) .

ومن خلال العرض السابق أخلص إلى أن العقاد قد أدار الفصول من الخامس وحتى نهاية العبقرية حول الأوصاف الخمسة الواردة في الفصل الثالث وهي أنه :

كان عادلاً ، وكان رحيمًا ، وكان غيورًا ، وكان فطنًا ، وكان وثيق الإيمان »[2].

وبعد هذا العرض أرى أن وصف أي إنسان بأنه إنسان عادل ـ بالمعنى الدقيق لهذا الوصف ـ سوف يكون عدله مُغلفًا برحمة ، مدعمًا بالفطنة ، وهذه الصفات تحتاج إلى إنسان غيور على حرمات الله ، ومن يغير على حرمات الله لابد أن يكون وثيق الإيمان .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

ومن هنا أستطيع القول أن وصف عمر بأنه إنسان عادل فقط يندرج تحته كل الصفات التي وردت داخل العبقرية .

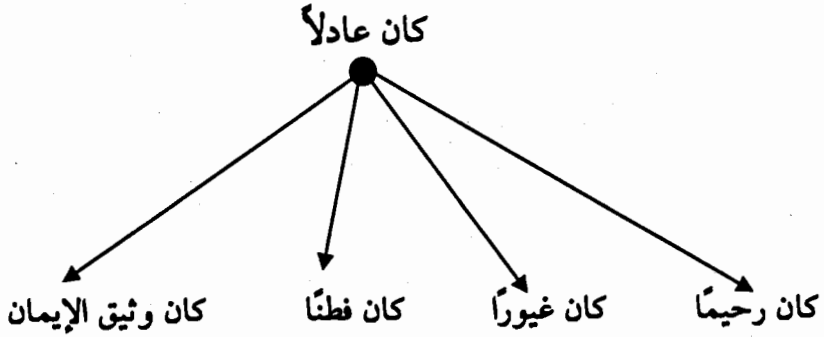

فالكلمة الأشمل والأعم في العبقرية ظهرت كأنها شجرة وارفة الظلال ، كل فرع منها يحمل وصفًا من هذه الأوصاف .

وهذا ما أعطى خصوصية لنص العبقرية ، فالعبقرية منذ بدايتها تدور في فلك المعنويات ، وحول صفات معينة تتفرع شيئًا فشيئًا ، صفات تتكامل ولا تتنافر ، فساعد هذا التقارب الدلالي بين هذه الصفات على تماسك النص المدروس ، بحيث إننا إذا استبدلنا عبارة من العبقرية بعبارة أخرى ظهر للقارئ أنها ليست من نص العبقرية .

وهكذا نجد أن العقاد سعى لتماسك فصول العبقرية كلها من خلال تقارب الحقول الدلالية بين فصولها .

* * *

المبحث الثاني

ترتيب فصول العبقرية

يحاول هذا المبحث أن يجيب عن أسئلة أثارها العقاد في ذهني عقب قراءتي للعبقرية ، وهذه الأسئلة هي :

لماذا رتب العقاد فصول العبقرية بهذا الشكل ؟ وكيف أسهم هذا الترتيب في تماسك نص العبقرية ككل ؟

وللإجابة عن ذلك أقول : إن عبقرية عمر تقع في اثني عشر فصلاً ، يمكن تقسيمها إلى أربعة محاور :

المحور الأول : ويشمل الفصول من الأول وحتى الرابع .

١- عبقري ٢- رجل ممتاز ٣- صفاته ٤- مفتاح شخصيته

المحور الثاني : إسلامه .

المحور الثالث : عمر والدولة الإسلامية . عمر والحكومة العصرية.

المحور الرابع : عمر والنبي . عمر والصحابة .

ثقافة عمر . عمر في بيته .

والمحور الأول بما يتضمنه من أربعة فصول يعد محاولة من العقاد لتهيئة ذهن المتلقي لاستقبال فكرة ما .

وهذه التهيئة قام بها العقاد عن طريق عرض الصفات التي كانت أصلية في الشخصية العمرية ، إضافة للظروف التي هيأت لهذه الصفات أن تنمو شيئًا فشيئًا حتى امتلكته بأصالتها فيه ، وكبح جماحها بقوته فوجهها حيثما أراد .

وأثبت من خلال هذه الفصول أيضًا أن نفس عمر بن الخطاب صالحة للتوجيه ، وعند هذه المرحلة انتقل العقاد إلى (المحور الثاني) وهو الفصل الخاص بـ (إسلامه) ، وهذا الفصل حينما جاء به العقاد كفصل تالٍ للفصول السابقة كان الهدف منه التوكيد على أن إسلام ابن الخطاب لم يكن مفاجأة وليس بالأمر الغريب ، فهناك أسباب عديدة هيأت له ذلك :

« وكان عمر مستقيم الطبع مفطورًا على الإنصاف فلم يكن رجل مثله ليستريح إلى فساد الجاهلية أو يخفى عليه فسادها إذا نبه إليه وهدى إلى ما هو خير منه .

وكانت النزعة الدينية وراثة في أسرته على ما يظهر من مبادرة أخته فاطمة وابن عمه سعيد بن زيد إلى الإسلام وكان له قبل الإسلام رجل في عمومته يقدح في الوثنية ويبحث عن الحق وفي النصرانية واليهودية ، ويبتلى أهله بالخلاف ويبتلونه بالإيذاء والحبس والإرهاق ، ونعني به زيد بن نفيل .

وعمر نفسه ..... ألم يقل إنه يئس ليلة من السمر ومن الخمر فذهب يطوف بالبيت كأن طواف البيت شهوة من شهوات قلبه تنوب عنه مناب المحبوب من الشهوات ؟

ألم يكن في الجاهلية يندر أن يعتكف ليلة من كل أسبوع .....؟» [1] .

فهذه العوامل إضافة للصفات التي ذكرت في الفصول السابقة تؤكد أن الفصول التي سبقت هذا الفصل كانت بمثابة التمهيد له .

أما المحور الثالث فيندرج تحته الفصلان :

(أ) عمر والدولة الإسلامية . (ب) عمر الحكومة العصرية .

وأرى أن العقاد لم يأت بهذين الفصلين بعد الفصل الخاص بـ (إسلامه)

---

(١) عبقرية عمر ص ٧١ ، ٧٢ .

بشكل اعتباطي بل عمد إلى ذلك ، وكأنه يقول للقارئ إن ابن الخطاب كان مؤسسًا للدولة الإسلامية منذ إعلان إسلامه :

« ..... كان مؤسسًا لها منذ أسلم فجهر بدعوة الإسلام وأذانه وأعزها بهيبته وعنفوانه »[1] .

وأيضًا لأن :

« ..... تاريخ عمر وتاريخ الدولة الإسلامية لا يفترقان ، فإذا بدأت بهذا فقد بدأت بفصل من تاريخ ذاك ، ولن يطول بك الاستطراد ، حتى تثوب إليه كرة أخرى »[2].

ولأن عمر بن الخطاب مؤسس الدولة الإسلامية لا محالة ، ولأن هذه الدولة أسست على العدل ، فوازن العقاد في الفصل التالي مباشرة (عمر الحكومة والعصرية) بين نظام حكومته وبين الحكومات العصرية ليثبت تفوقه وعبقريته بمقاييس القدماء والمحدثين .

إلا أن عمر كان رجلاً ممتازًا بعمله ممتازًا بتكوينه ، وكان وفاء شرط الامتياز والتفرد في عرف الأقدمين والمحدثين ، من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين .

إذا وصفته للمحدثين الذين يقيسون العبقرية بالعلم أو مشاهدات العلماء عرفوا من تلك الصفة أنه رجل ممتاز ، أو رجل موهوب »[3].

فالسياسات العمرية أثبتت تفوقها على السياسات العصرية ، فالفاروق :

« كان يحصى أموال الولاة ثم يستصفى ما زاد عليها كلما فشت من النعمة لا يخبرونه بمصدرها .

وفي هذا وذاك ضمان للعدل والأمانة يستغربه العصريون لأنهم لا يألفونه في طرائق الحكومات العصرية .

---

(١) عبقرية عمر ص ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣ .

ولكن أتراهم يستغربونه لأنه غير حسن أو لأنه غير مستطاع ؟

بل لأنه غير مستطاع ولا ريب ، أو لأن الحكومات العصرية لا تملك أن تتحراه وتنصف في تنفيذه ....» [1].

فالعقاد أثبت له السبق في الفصل السابق في تأسيسه للدولة الإسلامية وأثبت له التفرد والعبقرية في هذا الفصل بتفوق سياساته على سياسات العصور الحديثة .

وهذا ما دفع العقاد إلى وصف من ينالون من تلك العصور القديمة بالحمق:

«يا لها من حماقة تخجل العصر الحديث ! تخجله وهو واقف بين يدي العصور يتطاول عليها بتسخيف الحماقات وإدحاض الخرافات» [2].

أما المحور الرابع والأخير فيضم الفصول التالية :

١- عمر والنبي .　　٢- عمر والصحابة .

٣- ثقافة عمر .　　٤- عمر في بيته .

والسؤال الذي يتبادر للذهن : لماذا قدم العقاد الفصول التي تدور حول دور عمر في بناء الدولة الإسلامية ومقارنة حكومته بالحكومة العصرية على الفصول الخاصة بالجوانب المعنوية في شخصيته ؟

ويجيب العقاد «ولا يحسبن حاسب أننا نفسر الأمور بما كشفته لنا الحوادث بعد وقوعها ولم يكن مقصودًا في النيات قبل ذلك فإن الذي يحسب هذا الحسبان يخطئ تلك الخطأة الشائعة .

التي لا تثبت على أقل نصيب من الروية والمراجعة :

يخطئ في وهمه خطأة الذين يتخيلون أن هذه السياسات العالية من بدع الزمن الأخير وليست هي من البدع في زمن كان . لأن العظمة لم تكن قط وقفا

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١١٤ .　　(٢) المرجع السابق ، ص ١١٩ .

على العصر الحديث ، ولاسيما العظمة التي ترجع إلى الفطرة القويمة والبديهة النافذة والنظر السديد»[1] .

وقد بدأ العقاد هذا المحور بالفصل الخاص بعلاقة عمر بالنبي ﷺ لأن النبي كان الأُسوة بالنسبة له :

«فمحمد نبي وعمر خليفة ما في ذلك خلاف . ولابد بينهما من فارق ما في ذلك خبر جديد ، فما هو الفارق الذي يعدو تكرير الأسماء أو تكرير الصفات؟

الفارق فيما نرى هو الفارق بين إنسان عظيم ورجل عظيم»[2].

إضافة إلى أن علاقة الرسول ﷺ بالفاروق لم تكن كأية علاقة :

«فعمر كان يحب محمداً حب إعجاب ، ويؤمن به إيمان إعجاب ، ويستصغر نفسه إذا نظر إلى عظمة محمد ، وما هو فيما خلا ذلك بصغير في نظر نفسه أو في نظر الناس»[3] هذا الحب هو الذي دفعه إلى اتباع نهجه اتباعًا دقيقًا ، وقد ظهر ذلك بصدق في علاقته بالصحابة ، وتمثل خير تمثل عقب وفاة الرسول مباشرة ، فجاء الفصل التالي عن (عمر والصحابة) ، وكان أول تطبيق عملي عقب وفاة الرسول الكريم ﷺ ، متمثلاً في مبايعة الفاروق لأبي بكر الصديق :

«بايع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه»[4].

وجاء ترتيب فصول هذا المحور على النحو التالي :

١- عمر والنبي ٢- عمر والصحابة

٣- ثقافة عمر ٤- عمر في بيته

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٠ . (٢) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢١ . (٤) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

والترتيب الطبيعي لها :

١- عمر والنبي ٢- عمر والصحابة

٣- عمر في بيته ٤- ثقافة عمر

ولكن العقاد قدم الفصل الخاص بـ (ثقافة عمر) على الفصول الموسوم بـ(عمر في بيته) بل ختم بالثاني فصول العبقرية !

ولعل السبب في ذلك أن العقاد ركز القول في هذا الفصل على علاقة الفاروق بالنساء ، وقد كان عمر (صاحب حيوية غير الحيوية الجسدية الموكلة بالسرور والمتاع»[١]) ومنها (حيوية الروح ، وحيوية الخلق ، وحيوية الذوق ، وحيوية العقل ، وحيوية الجسد ، وغير ذلك كثير مما يتداخل بين هذه الحيويات»[٢]) .

وهذا ما حدا بالعقاد إلى أن يفسر طلاقه لزوجته شموس بعد إسلامه قائلاً: «فهل هو دلال الجمال ضاق به صدر عمر ، وهو على شموس المرأة غير صبور ؟ لعله ذاك»[٣].

ولعل في ذلك ما يفسر لنا سبب وضع هذا الفصل في آخر العبقرية ، وأن أول فصل بعد إعلان إسلامه اختص بـ (عمر والدولة الإسلامية) فقد كانت هي البناء الكبير في حياته . والعقاد بهذا الترتيب يؤكد لنا حضور المتلقي من بداية النص وحتى نهايته ، لأن ترتيب فصول العبقرية بهذا الشكل يؤكد لنا أنه كان يهدف من ورائه إلى إقناع القارئ بهدفه الأساسي ، وهو تفرد الشخصية العمرية .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٤٦ . (٢) المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

فقام المحور الأول على شحذ ذهن المتلقي بصفات أهلته للدخول في الدين الجديد ، وهو ما دار حوله المحور الثاني ، وانطلق بعد هذا التمهيد إلى التطبيق العملي وهو بناء الدولة الإسلامية ، ثم وازن بينها وبين الحكومات العصرية ، فظهر ترتيب الفصول وكأنه خيط رئيسي في نسيج النص من حيث التدرج في بنائه ، فأسهم بشكل فعال في تماسك الأفكار المطروحة داخل نص العبقرية .

* * *

المبحث الثالث

العلاقة بين بداية الفصل ونهايته

تعد العلاقة بين بداية الفصل ونهايته من العلاقات ذات الدلالة الضمنية في الدرس النصي .

وهي علاقة كاشفة عن مدى توفيق الكاتب في إحكام نصه ، فكما أحكم هذه العلاقة ـ عن طريق إبراز المناسبة بين بداية الفصل ونهايته ـ أكد أنه ممسك بخيوط الفكرة التي يتحدث عنها وأنها امتلكته من بداية النص وحتى نهايته .

وكأنه بذلك يضع النص (بين قوسين) ، وعلى المتلقي أن يستنبط هذه العلاقة ليكتشف الدور الكبير الذي قامت به في تماسك النص .

وتعرب هذه العلاقة عن نفسها عقب قراءة المتلقي للعبقرية كلها ، لأنه سيجد العقاد يفتتح فصول العبقرية كلها بأسلوب واحد لا يتغير ، وكأنه يعطينا سمة أسلوبية خاصة به . وأعني بذلك أنه يفتتح الفصل بعرض النتيجة التي توصل إليها من خلال دراسته للمواقف الواردة في هذا الفصل ، وكأنه يوجه ذهن المتلقي توجيهًا مقصودًا لفهم معين أو نتيجة محددة عليه أن يستنبطها من هذه المواقف .

هذا عن بداية الفصل ، أما عن نهايته فتراه يعرض ـ في فقرة أو أكثر ـ خلاصة ما توصل إليه من خلال دراسته للمواقف التي عرضها داخل الفصل ، وبعبارة أخرى النتيجة التي انتهى إليها .

أي أن العقاد يفتتح الفصل بالنتيجة التي انتهى إليها في خاتمة الفصل .

ومن أمثلة ذلك :

أن العقاد افتتح الفصل الأول من العبقرية الموسوم بـ (عبقري) بقوله : (..... لم أر عبقريًا يفرى فرية .....) .

كلمة قالها النبي عليه السلام في عمر رضي الله عنه وهي كلمة لا يقولها إلا عظيم عظماء ، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال»[1] .

وهي عبارة مجتزأة من حديث للرسول ﷺ ورد كاملاً في نهاية الفصل . وهذه العبارة تصف عمر بالعبقرية كأن العقاد أعطى للقارئ النتيجة التي سيتوصل لها في نهاية الفصل أو يطلب منه ألا يفهم وألا يصف عمر ابن الخطاب بوصف آخر غير هذا من خلال قراءته لهذا الفصل .

فأطلق على الفصل اسم (عبقري) وافتتحه بالنتيجة السابقة واختتمه بعرض رواية الرسول ﷺ كاملة التي اجتزأ منها العبارة الافتتاحية ، وعلق قائلاً : (وتلك هي عبقريته التي لا يفرى فريها أحد كما قال صاحبه وأعرف الناس به، صلوات الله عليه)»[2].

ويبرز دور اسم الإشارة (تلك) ـ بوصفه عنصرًا إحاليًا على المستوى البعيد ـ في الربط بين بداية الفصل ونهايته ، فالعقاد بعد عرضه للمواقف الدالة على عبقريته ، والنتيجة التي سبقت هذا العرض ، أحال إليهما باستخدام اسم الإشارة (تلك) ، وكأنه يؤكد للقارئ أن النتيجة التي عرضها في بداية الفصل هي نفس النتيجة التي سيتوصل إليها في نهايته .

وفي الفصل الموسوم بـ (رجل ممتاز) يفتتحه العقاد بقوله :

(يوصف عمر بالعبقرية إذا نظرنا إلى أعماله ، ويوصف بها إذا نظرنا إلى تكوينه الذي جعله مستعدًا لتلك الأعمال مضطلعًا بتلك القدرة ، وإن لم يكن

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ .

من اللازم أن تقترن القدرة بالعمل الذي تستطيعه ، لما يتفق أحيانًا من وقوف العوائق بينها وبين الإنجاز أو الاتجاه إلى ذلك العمل .

إلا أن عمر كان رجلاً ممتازًا بعمله ، ممتازًا بتكوينه ، وكان وفاء شرط الامتياز والتفرد في عرف الأقدمين والمحدثين ، من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين) » [1] .

توصل العقاد إلى نتيجة وهي أن عمر كان ممتازًا بتكوينه الداخلي الذي أهله لأن يكون ممتازًا بعمله وذلك بمقاييس القدماء والمحدثين .

وقد لخص هذه النتيجة في نهاية الفصل فقال : « فهو رجل نادر بما يشهد به الأعمال والأخلاق نادر في مقاييس الأقدمين ومقاييس المحدثين . أو هو رجل ممتاز ، وعبقري موهوب في جميع الآراء» [2].

وفي الفصل الخاص بـ (صفاته) يفتتحه العقاد قائلاً :

نحن على هذا أمام رجل لا كالرجال رجل عبقري أو رجل ممتاز من خاصة الخليقة الذين لا يعدون في الزمن الواحد بأكثر من الآحاد .

أنقول رجل قوي ؟ نعم هو رجل قوي لا مراء. وكل عظيم فهو قوي بمعنى من معاني القوة» [3].

فعرض العقاد في بداية الفصل لنتيجة توصل إليها من خلال الصفحات التي سبقت هذا الفصل وهي أن (عمر رجل عبقري وممتاز) ثم تطرق إلى صفة جديدة استنبطها من خلال الأحداث والمواقف الواردة في الفصل وهي أن عمر (رجل قوي) ، فذكرها صراحة في بداية الفصل بوصفها النتيجة التي توصل إليها .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

وهذا الفصل موسوم بـ (صفاته) أي أنه يدور حول مناقب الشخصية العمرية وصفاتها ، إلا أن العقاد اختتم الفصل بنفس الصفة التي افتتح بها الفصل ، وهي أنه رجل قوي ، وكأن ما ذكره من صفات يؤول إلى هذه الصفة ، وبعبارة أخرى يظهر تساند هذه الصفة مع صفات أخرى .

فهي قوة تلبس ثوب الرحمة ويدعمها العدل ، ومن ثَمَّ اختتم الفصل بقوله:

« ونحن في عصر شاعت فيه فلسفات مسهبة تنكر الرحمة والعدل على الأقوياء الغيورين . وتحسبهما حيلة من حيل الطبع في خلائق الضعفاء لاستدامة البقاء . كأن رحمة الضعيف تنفعه إذا رحم وكأن عدل الضعيف ينفعه إذا عدل ، أو كأن القوى يخلق نفسه ولا يخلق قويًّا لتفيد قوته فائدتها في خدمة المحتاجين إليها .....

وبغير إمكان طويل في دقائق النفس الإنسانية استطاعت امرأة محزونة أن تفرق بين الخصلتين وتجمع بينهما معًا في عمر بن الخطاب ونعني بها عاتكة بنت زيد حين قالت في رثائه :

رؤوف على الأدنى غليظ على العدى أخي ثقة في النائبات منيب

وهي تفرقة سهلة ولكنها صادقة جامعة ، فغير عجيب أن يكون إنسان كذلك ، وإنما هو أوفق شيء لطبائع الأشياء»[1] .

فالعبارة السابقة التي اختتم بها الفصل تؤكد أن قوة الفاروق لم تكن قوة طاغية أو باغية .

بل كانت قوة مسخرة لرفع لواء العدل ، وما تقوم بذلك إلا نفس تشهد لها بالعظمة . وهذا ما اختتم به العقاد هذا الفصل .

ونرى العقاد في الفصل الخاص بـ (مفتاح شخصيته) يفتتحه بمقدمة قصيرة

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٤٩ .

تهيأ ذهن القارئ للنتيجة التي توصل إليها وعرضها عقب هذه المقدمة القصيرة مباشرة ، وقبل الولوج في أحداث الفصل ، وهذه النتيجة هي :

« والذي نراه أن طبيعة الجندي في صفتها المثلى هي أصدق مفتاح للشخصية العمرية في جملة ما يؤثر أو يروى عن هذا الرجل العظيم »[1] .

فالعقاد عرض هذه النتيجة ، ثم بحث عبر صفحات الفصل في أسبابها ، وهذه النتيجة أيضًا هي التي اختتم بها الفصل فقال :

« وذلك هو الجندي في حالته المثلى .

وذلك هو المفتاح الصادق الذي لا نعلم مفتاح أصدق منه لخلائق هذا الجندي العادل الكريم »[2] .

ويأتي دور اسم الإشارة (ذلك) للبعيد ليربط بين النتيجة التي وردت في بداية وما بني عليها بعد ذلك ، وكأن العقاد يقول للمتلقي : إن النتيجة التي عرضتها في البداية ـ ولا شيء غيرها ـ هي الحكم الصائب ومن ثَمَّ اختتمت بها الفصل أيضًا .

ويفتتح العقاد الفصل الخاص بـ (إسلامه) بالحديث عن العمل الذي تتحول به حياة الإنسان تحولاً جذريًا ، مركزًا القول حول التحدي العقدي :

« يجوز أن نبحث عن سبب واحد للعمل الذي يعمله الرجل وينساه غدًا ، أو يكرره كل يوم ولا يلتفت إلى عقباه أو يلتفت إلى عقباه ولا يتوقع له أثرًا يغير في مجرى حياته . فسبب واحد لعمل هذه الأعمال كاف ولا حاجة بعده إلى استقصاء .

ولكن العمل الذي تتحول به حياة الإنسان تحولاً حاسمًا لن يرجع إلى سبب واحد ولن نستغني في تفسيره عن عدة أسباب ..... لأن الإنسان إذا غير

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

معيشته فإنما يغير صناعة ، وإذا غير موطنه فإنما يغير بلدًا ، وإذا غير زيه فإنما يغير سمتًا يقوم على كساء .

ولكنه إذا غير عقيدته الدينية فقد غير كونه واستبدل به كونًا آخر ، وقد غير ماضيه وماضي أهله .....» [1] .

واختتم العقاد هذا الفصل للإشارة إلى هذا التحول العقدي وطبقه على الفاروق فقال : (كان مسلمًا شديدًا في إسلامه فلم تكن شدته في إسلامه خطرًا على الناس ، بل كان ضامنًا لهم ألا يخافه مسلم ولا ذمي ولا مشرك في غير حدود الكتاب والسنة .

وكان جاهليًا فأسلم ، فأصبح إسلامه طورًا من أطوار التاريخ . ولو لم يكن الإسلام قدرة بانية منشئة في التاريخ الإنساني لما كان إسلام رجل طورًا من أطواره الكبار» [2].

ما صنعه العقاد في بداية الفصل هو نتيجة لما توصل إليه ولكنه ظهر في ثوب تمهيد لذهن المتلقي ، والحقيقة أنه توجيه مقصود من العقاد لفكر المتلقي لكي يصل معه في نهاية الفصل إلى النتيجة التي توصل إليها وعرضها في بداية الفصل .

وفي الفصل الخاص بـ (عمر والدولة الإسلامية) ، نرى العقاد يفتتحه بوصف للفاروق وهو أنه (مؤسس للدولة الإسلامية) ، مبينًا سبب إطلاقه هذا الوصف :

« ... أننا نسمي عمر مؤسسًا للدولة الإسلامية بمعنى آخر غير معنى السبق في أعمال الخلافة ، لأننا أولاً لا نجد مكانًا في التاريخ أليق به من مكان

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٤ .

المؤسسين للدول العظام . ولأننا من جهة أخرى لا نربط بين التأسيس وولاية الخلافة في إقامة دولة كالدولة الإسلامية ، ..... وعمر كان على نحو من الأنحاء مؤسسًا لدولة الإسلام قبل ولايته الخلافة بسنين ، بل كان مؤسسًا لها منذ أسلم فجهر بدعوة الإسلام وأذانه ، وأعزها بهيبته وعنفوانه وكان مؤسسًا لها يوم بسط يده إلى أبي بكر فبايعه بالخلافة وحسم الفتنة التي أوشكت أن تعصف بأركانها، وكان مؤسسًا لها يوم أشار على أبي بكر بجمع القرآن الكريم...»[1].

أي أن الفاروق كان مؤسسًا للدولة الإسلامية قبل ولايته للخلافة الإسلامية وبعدها ، وهذا ما اختتم به العقاد الفصل قائلاً :

«قبل أن يقال إن عمر كان أكبر فاتح في صدر الإسلام ينبغي أن يقال إنه كان يومئذ أكبر مؤسس لدولة الإسلام ، وأنه أسسها على الإيمان ولم يؤسسها على الصولجان ، فكان مؤسسًا لها قبل أن يلي الخلافة وينفرد بالكلمة العليا ، وكان في يوم إسلامه آخذًا في تشييد هذا البناء الذي تركه وهو بين دول العالم أرسخ بناء»[2].

فبداية الفصل تقرير بأنه مؤسس للدولة الإسلامية ، نهاية الفصل كذلك ، وبينهما تظهر مظاهر هذا التأسيس ، فأسهمت بداية الفصل ونهايته في تماسك بنية الفصل الواحد . وفي الفصل الخاص بـ (عمر والحكومة العصرية) نرى العقاد يعرض في بدايته لنتيجة توصل إليها وهي أنه من الخطأ أن نصدر أحكامًا على حكام العصور القديمة انطلاقًا من مقاييس العصر الحديث ، فيقول :

«من الحقائق التي لا يحسن أن تغيب عنا ونحن نقدر الأبطال من ولاة

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

العصور الغابرة أنهم أبناء عصورهم وليسوا أبناء عصورنا ، وأننا مطالبون بأن نفهمهم في زمانهم وليسوا هم مطالبين بأن يشبهونا في زماننا ، وأن الرجل الذي يصنع في عصره خير ما يصنع فيه هو القدوة التي يقتدي بها أبناء كل جيل ، ولا حاجة به إلى اقتداء بنا ، ولا أن يشق حجاب الغيب لينظر إلينا ويعمل ما يوافقنا ويرضينا »[1] .

وكأنه يقول للقارئ لولا هذا الاستنتاج الذي وضعته في بداية الفصل لوقعت في نفس الخطأ الذي وقع فيه آخرون في العصور الحديثة ، وهذا ما اختتم به الفصل :

« يا لها من حماقة تخجل العصر الحديث ! تخجله وهو واقف بين العصور يتطاول عليها بتسخيف الحماقات وإدحاض الخرافات »[2].

وفي الفصل الموسوم بـ (عمر والنبي) نرى العقاد يفتتحه بقوله :

« يندر أن يظفر الباحثون في طبائع الإنسان بمغنم نفسي هو أوفر ثمرة وأنفس محصولاً من دراسة عمر بن الخطاب لأن الظواهر المختلفة التي تتجلى في هذه النفس العظيمة ليست من ظواهر كل يوم ، ولا من ظواهر كل دراسة ، ولأن اتفاقها البسيط مع تركيبها العجيب مما يتعذر جدًّا في النفوس التي نعهدها ، مما يتعذر جدًّا حتى في نفوس الأفذاذ من العظماء »[3].

فالنتيجة التي بدأ بها العقاد تتحدث عن أن علم الأخلاق سوف يظفر بمغنم كبير من خلال دراسته للشخصية العمرية .

وهذا دليل واضح على تأسيه بالرسول ﷺ ، فقد كان حب ابن الخطاب للرسول صلوات الله عليه وسلامه حب إعجاب بنموذج الإنسان الكامل .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٠٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١١٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

فجاءت خاتمة الفصل معبرة عن ذلك :

« لو سئل فيه النبي سيد بني هاشم لأعاد فيه قوله :

« عمر بن الخطاب معي حيث أحب ، وأنا معه حيث يحب ، والحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان »[1] .

فالجمل الثلاث ما هي إلا دليل على تمسك الفاروق بأخلاقيات الرسول الكريم ، ومن ثَمَّ صارت دراسة الشخصية العمرية مغنمًا لعلم الأخلاق ، كما عبر العقاد عن ذلك في بداية الفصل . وافتتح العقاد الفصل الموسوم بـ (عمر والصحابة) بقوله :

« بايع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه .

وبويع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه »[2].

فبعد دراسة العقاد لعلاقة الفاروق بالصحابة ، رأى أن مبايعة عمر لأبي بكر قد طرحت الخلاف جانبًا ، وأن مبايعة الصحابة لعمر قد طرحت الخلاف جانبًا أيضًا إلا في بعض الأشياء التي ظهرت ولكن لا خطر فيها .

وقد اختتم العقاد الفصل بفقرتين تدوران في نفس الإطار ، فما فعله الفاروق مع أبي بكر رد عليه في موقف خالد بن الوليد منه ، وأخمد بذلك فتنة كانت ستشتعل لولا مروءة خالد التي سبقتها مروءة الفاروق :

« ومن الحق أن يقال إن قضية خالد قد أرتنا مروءة خالد كما أرتنا مروءة عمر ، وقد عرضت لنا هذا البطل في صفحتيه فإذا هو بطل الفؤاد في ولايته وبعد عزله ، وفي شدته على عدوه وطاعته لأميره ..... وما على مثله من خير أن يحق عليه العزل في ميزان عمر بن الخطاب .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

فذاك ميزان تعلو فيه الكفة ولا يزال صاحبها راجحًا أي رجحان . وقد استحق المجد بيقين واستحق العزل بظن ، ولولا مصلحة أعلى من مصلحة الإبقاء على رضاه لقد كان ذلك الظن حقيقًا بالغض عنه والتجوز فيه . وكفى بالرجلين فضلاً أن يختلفا ومن وراء اختلافهما فضل يعترف به كلاهما ويعترف به كل محب وشانئ ، وكل منصف وجاحد»[1].

وفي الفصل الخاص بـ (ثقافة عمر) عرض العقاد في بدايته لصفات استخلصها من حياته ، تؤكد ثقافة الفاروق فقال :

« إذا تكلمنا عن ثقافة عمر بلغة العصر الحاضر جاز لنا أن نقول إنه كان رجلاً وافر الحظ من ثقافة زمانه إنه كان أديبًا مؤرخًا فقيهًا ، مشاركًا في سائر الفنون ، مدربًا على الرياضة البدنية ، خطيبًا مطبوعًا على الكلام ، فليس أرجح من نصيبه في ثقافة زمانه نصيب»[2].

فهذه المقدمة تؤكد اتساع أفق ووعي الفاروق ، ومن ثَمَّ جاءت خاتمة الفصل مفيدة للتهمة التي ألصقت بالفاروق وهي (حرق مكتبة الإسكندرية) ، مستندة إلى الصفات التي عرضها في المقدمة لدفع هذه التهمة عنه»[3].

وفي الفصل الخاص بـ (عمر في بيته) دارت افتتاحيته حول المقابلة بين عظم منزلة الفاروق السياسية في مقابل زهده في متع الحياة على اختلاف أشكالها:

« كان الخليفة الأكبر ـ صاحب الأمر في الجزيرة العربية ، وصاحب الغلبة على ملك الأكاسرة والقياصرة والفراعنة ، ومدبر الحكم في الرقعة الوسطى بين قارات العالم المعمور رجلاً فقيرًا يعيش عيشة الكفاف ويقنع من الغذاء والكساء بحظ لا يتمناه كثير من الرجال ، ويزهد في كثير من النساء»[4].

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٦٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

وهذا المضمون هو ما اختتم به الفصل قائلاً :

«ولأن يموت عمر مدينًا موفي الدين لهو أعظم الشرفين ..... وأيسر من ذلك شرفًا أن يموت غنيًّا بغير دين»[1] .

ومن خلال ما سبق يتبين للباحثة أن العقاد سعى سعيًا دؤوبًا لتماسك بنية الفصل الواحد من بدايته وحتى نهايته ، فقام بعرض النتيجة في بداية الفصل ، أو قام بتوجيه معين لفكر القارئ يدفع به للوصول إلى نفس النتيجة التي توصل إليها العقاد .

* * *

(١) عبقرية عمر ، ص ١٩٩ .

المبحث الرابع

الإجمال والتفصيل

تعد علاقة الإجمال والتفصيل من أكثر العلاقات إسهامًا في حبك النص ، وذلك لأنها تضمن «الاستمرارية المتحققة في عالم النص Textual World ونعني بها الاستمرارية الدلالية»[1].

ولأنها أيضًا ضرب من ضروب التفسير كما ذكر القرطاجني في منهاجه»[2].

ومن هذا المنطلق اعتبرت علاقة (الإجمال والتفصيل) ضربًا من ضروب (الإحالة الضمنية) فالإجمال يحيل إلى التفصيل ، والتفصيل يحيل إلى الإجمال .

وهذا المبحث إضافة لسائر مباحث الحبك (لا تجد في الغالب حقها من الدراسة لدى اللسانيين الشكلانيين في إطار وصفهم للخصائص التركيبية والدلالية للجملة)»[3] .

ولأننا بصدد مبحث يبتعد عن الدراسة الشكلية للنص ، فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار السياق الذي وردت فيه هذه الإحالات الضمنية[*] .

---

(١) نحو أجرومية لدراسة النص الشعري ، دكتور سعد مصلوح ، ص ١٥٥ .

(٢) انظر منهاج البلغاء ، حازم القرطاجني ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) تحليل الخطاب ، براون ، يول ، ص ٣٥ .

(*) يختلف ما أعنيه بـ (الإحالة الضمنية) عما يعنيه (جرايس) من مصطلح (المعنى الضمني) Implicature للحديث عما يمكن أن يوحي به متكلم فوق ما يصرح به ظاهر كلامه ، المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وأن نفهمها في ضوء مبدأ (الفهم المحلي) ، ووفقًا لهذا المبدأ (فإن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه ، للوصول إلى فهم معين لقول ما»[1].

وعلاقة الإجمال والتفصيل من أكثر العلاقات الضمنية شيوعًا في العبقرية ، وقد ظهرت من خلال عدة مستويات :

١- عنوان النص :

يعد عنوان النص مفتاحًا من مفاتيح تحليله ، وعنوان النص المدروس في هذا البحث هو (عبقرية عمر) ، وفي هذا العنوان إجمال لأوصاف متعددة وردت داخل العبقرية وهي ما دفعت العقاد إلى إطلاق هذا العنوان على عمله .

تلك الأوصاف جاءت بعد ذلك موزعة على فصول العبقرية كلها ، وكأن العقاد يجيب عن سؤال ضمني في ذهن المتلقي لماذا أطلقت على عملك هذا الاسم ؟ أو بمعنى آخر :

لماذا وصفت ابن الخطاب بالعبقرية ؟

كان عنوان النص بذلك ضربًا من الإجمال ، وكانت فصول العبقرية تفصيلاً له .

هذا وجه ، وهناك وجه آخر يظهر فيه عنوان النص إجمالاً ، أمَّا تفصيل هذا الإجمال ورد في رواية بالفصل الأول للرسول ﷺ ، فقال عليه السلام :

رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا فلم أر عبقريًّا يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن»[2].

---

(١) تحليل الخطاب ، ص ٧١ .

(٢) عبقرية عمر ، ص ١٢ .

فارتبط عنوان النص المدروس برواية عن الرسول ﷺ وردت مفصلة داخل العبقرية ، فنشأ نوع من الارتباط بين العنوان المجمل والنص المفصّل بداخله ، كأن هذا أحال إلى ذاك .

٢- عناوين فصول العبقرية :

تعد عناوين العبقرية إجمالاً لما يندرج تحتها من تفصيل ، فكوننا نرى فصلاً بعنوان (صفاته) فهذا يعد إجمالاً للسرد التفصيلي الذي ورد لهذه الصفات .

وفي الفصل الموسوم بـ (عمر في بيته) نجد في هذا العنوان أيضًا إجمالاً للأحوال العمرية في معاملاته مع أهل بيته ، وعلاقته بأولاده وأبيه ، وهذا يعد تفصيلاً لعنوان الفصل .

وعناوين فصول العبقرية كلها ليست من العناوين « الشديدة التعقيد .... حيث تبلغ هذه الفاعلية من التعقيد ـ في بعض الأعمال ـ حد أن الحديث عن نصية عمل ما ، يجب أن يضع في اعتباره كون العنوان نصًّا نوعيًّا له ـ كالعمل تمامًا ـ ببنيته وإنتاجيته الدلالية »[1] .

٣- الإجمال والتفصيل بين فصول العبقرية :

تقع عبقرية عمر في أحد عشر فصلاً ، وتعد الفصول من الأول وحتى الرابع إجمالاً لسائر فصول العبقرية .

فقد حشد العقاد فيها سمات الشخصية العمرية كلها ، وهذا يعد إجمالاً . ثم استأثر كل فصل بعد ذلك بصفة أو أكثر ، وفصَّل فيها القول وما يتفرع عنها من صفات ، إضافة لتفصيل المواقف والأحداث التي وردت مجملة داخل الفصول الأربعة الواقعة في بداية العبقرية .

---

(١) العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ، دكتور محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ ، ص ١٥ .

ومن أمثلة ذلك :

الإجمال	التفصيل
١- « قال أكبر أصدقائه وأكبر العارفين به محمد عليه السلام : إن الله غيور يحب الغيور ، وإن عمر غيور ». الفصل الثالث ، ص ٣٤.	« فكان يشير على النبي عليه السلام أن يحجب نساءه ، ويبلغ ذلك إحدى أمهات المسلمين زينب فتقول له : إنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل علينا في بيوتنا ! وتخرج إحداهن سودة وهي تحسب أن أحدًا لايعرفها لاستتارها بالظلام فيعرفها بطول قامتها ويناديها (عرفتك يا سودة) ليؤكد ضرورة الحجاب فيؤمر المسلمون بعد ذلك ألا يسألوهن إلا من وراء حجاب» . الفصل الثامن ، ص ١٢٤ .
« وهذا الذي ظهر أعجب ظهور في موقفي الصاحبين من حرب الردة ، فإن عمر الشديد قد آثر الهوادة أبا بكر الرقيق قد آثر القتال وأصر عليه». الفصل الأول ، ص ٩ .	« وأعجوبة الأعاجيب في هذا الأمر موقف الرجلين من المشكلة الكبرى التي واجهتهما معًا بعد موت النبي بأيام قلائل ، وهي مشكلة الردة ونكوص العرب عن أحكام الدين وحيرة الصحابة الكبار فيما يعامل به المرتدون .... الفصل التاسع ص ١٤٦ ، ١٤٧

ففي المثال الأول ذكر العقاد حديث الرسول ﷺ الذي وصف فيه عمر ابن الخطاب بأنه إنسان غيور ، وفصَّل القول في هذا الوصف في الفصل الثامن عن طريق ذكر أمثلة متعددة دالة على هذا الوصف .

وفي المثال الثاني أشار العقاد إشارة سريعة في الفصل الأول إلى موقف أبي بكر وعمر من المرتدين ، وفصَّل القول في هذا الموقف في الفصل الثامن .

ومن ثَمَّ فما أُجمل فيه القول من مواقف وأحداث في الفصول من الأول إلى الرابع ، فصل تفصيلاً في سائر فصول العبقرية ، ومن ثَمَّ يعد الإجمال إحالة إلى التفصيل ، ويعد التفصيل إحالة إلى الإجمال .

فخلقت هذه الإحالة نوعًا من التماسك بين فصول العبقرية .

٤- الإجمال والتفصيل على مستوى الفقرات :

ظهر الإجمال والتفصيل في العبقرية على مستوى الفقرات أيضًا ، فنرى الفقرة المجملة تليها فقرة مفصلة ، وكأن الفقرة المجملة تثير في ذهن المتلقي العديد من التساؤلات ، فتسارع الفقرة المفصَّلة بالإجابة عن هذه التساؤلات .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره العقاد في الفصل الخاص بـ (مفتاح شخصيته) :

« والذي نراه أن طبيعة الجندي في صفتها المثلى هي أصدق مفتاح « للشخصية العمرية » في جملة ما يؤثر أو يروى عن هذا الرجل العظيم »[1] .

فالفقرة السابقة بها إجمال يثير في ذهن المتلقي سؤالاً وهو : ما هي طبيعة الصفات الداخلة في تكوين الجندي في صفته المثلى ؟

فتأتي الفقرة التالية مباشرة مفصلة لهذه الصفات :

« فأهم الخصائص التي تتجمع « لطبيعة الجندي » في صفتها المثلى الشجاعة والحزم والصراحة والخشونة والغيرة على الشرف والنجدة والنخوة

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٥١ .

والنظام والطاعة وتقدير الواجب والإيمان بالحق وحب الإنجاز في حدود التبعات أو المسئوليات»[1].

وقد يرد الإجمال في فقرة واحدة بينما يحتل تفصيل هذا الإجمال عدة فقرات متتالية ، ومن ذلك قول العقاد :

«فما هي إلا أن لحق النبي بالرفيق الأعلى حتى تحفزت دواعي النزاع من كل فج ، وتكشفت كوامن القلق والخوف من كل ممكن ، وجهل أعلم الناس كيف تتجلى الغاشية ويستقر القرار»[2].

ففي العبارة السابقة إجمال للظروف والملابسات التي طرأت على المسلمين وعقب وفاة الرسول ﷺ ، وتأتي الفقرات التالية مفصلة لهذه الظروف المعبرة عن تحفز دواعي النزاع من كل فج .

«فالأنصار يقولون إنهم أحق بالخلافة من المهاجرين لأنهم كثرة والمهاجرون قلة ، ولأنهم في ديارهم والمهاجرون طارئون عليهم ، ولأنهم جميعًا عرب مسلمون ولهم فضل التأييد والإيواء .

والمهاجرون على قلتهم غير متفقين على اتفاق ينعقد به الإجماع ، وحجتهم الغالبة أنهم السابقون إلى الإسلام ومنهم جلة الصحابة الأولين .

وتسايرت الأحاديث بحق آل البيت النبوي في الخلافة النبوية ، وبين آله رجلان قويان هما علي والعباس ، ولو أصغيا إلى هذه الدعوة ، ومضيا فيها لتمخضت عن خطب عظيم .

وكل هذه العصبيات لم تكف دعاة الخلاف حتى جاء أبو سفيان يزيدها عصبية أخرى بالمفاخرة بين أكبر القبائل وأصغرها في قريش .

ولم تكن هذه العصبيات كل ما هنالك من دواعي النزاع وكوامن من القلق والخوف فقد كان هنالك منافقون أسلموا وهم راغمون ، وكان هنالك ضعفاء

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

من المسلمين يقفون على شفير الفتنة لا يلبث أن يضطرب تحت أقدامهم حتى ينهار ، وكان هنالك أناس لا ينصرون ولا يخذلون ، فهم إن لم يفسدوا في الأرض لا يصلحون»[1].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن علاقة الإجمال والتفصيل بدأت مع عنوان العبقرية وامتدت لعناوين فصولها ، ولعلاقة عنوان الفصل بمضمونه ، وللعلاقة بين فصول العبقرية ، والعلاقة بين فقراتها .

ومن ذلك أيضًا :

أن العقاد قد أجمل في قوله :

«لم يكن عمر عادلاً لسبب واحد بل لجملة أسباب»[2].

وقام بتفصيل هذه الأسباب في عدة فقرات متتالية وهي :

«كان عادلاً لأنه ورث القضاء من قبيلته وآبائه ، فهو من أنبه بيوت بني عدي الذين تولوا السفارة والتحكيم في الجاهلية ، وراضوا أنفسهم من أجل ذلك جيلاً بعد جيل على الإنصاف وفصل الخطاب ، وجده نفيل بن عبد العزى هو الذي قضى لعبد المطلب على حرب بني أمية حين تنافرا إليه وتنافسا على الزعامة . فهو عادل من عادلين ، وناشئ في مهد الحكم والموازنة بين الأقوياء .

وكان عادلاً لأنه قوي مستقيم بتكوين طبعه ، وإن شئت فقل أيضًا بتكوينه الموروث . إذا كان أبوه الخطاب وجده نفيل من أهل الشدة والبأس ، وكانت أمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة قائد قريش في كل نضال . فهو على خليقة الذي لا يحابي لأنه لا يخاف ، والذي يخجل من الميل إلى القوي لأنه جبن ، ومن الجور على الضعيف لأنه عوج يزري بنخوته وشممه .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

وكان عادلاً لأن آله من بني عدي قد ذاقوا طعم الظلم من أقربائهم بني عبد شمس وكانوا أشداء في الحرب يسمونهم لعقة الدم ، ولكنهم غلبوا على أمرهم لقلة عددهم بالقياس إلى عدد أقربائهم ، فاستقر فيهم بغض القوي المظلوم للظلم وحبه للعدل الذي مارسوه ودربوا عليه ، وساعدت عبر الأيام على تمكين خليقة العدل في خلاصة هذه الأسرة أو خلاصة هذه القبيلة ، وتعني به عمر بن الخطاب .

وكان عادلاً بتعليم الدين الذي استمسك به وهو من أهله بمقدار ما حاربه « وهو عدوه . فكأن أقوى العادلين كما كان أقوى المتقين والمؤمنين »[1].

فما أجمله العقاد في جملة واحدة فصله في أربع فقرات متتالية ، فأحالت الفقرة المجملة إلى الفقرات المفصلة ، وأحالت الفقرات المفصلة إلى الفقرة المجملة .

ومن مواطن الإجمال قوله : « لقد كان له في تحديه هذا القريش عدتان : شجاعته وعدله »[2] وفصل القول بعد ذلك في شجاعته وعدله فقال :

« فما كانت شجاعته في هذا التحدي بأظهر من عدله ولا كان عدله فيه بأظهر من شجاعته .

إذ الشجاع الحق مطبوع على الأنفة من الظلم لأنه شديد الإحساس بذله ، ومن كان شديد الإحساس بذل الظلم فهو شديد الإحساس بعزة العدل من طريق واحد . وقلما أغضب العادل الشجاع شيء كاستطالة الظالم وظنه أن المظلوم لا يستطيل عليه ، فذلك هو التحدي الذي يثير الشجاع ويثير النقمة على الظلم أو يثير حب العدل في وقت واحد ، وإن الموت لأهون من الصبر على هذا التحدي المرذول وهذا الصلف القبيح . وما الشجاعة إن لم تكن هي الجرأة على الموت كلما وجب الاجتراء عليه .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

«وأي امرئ أولى بالجرأة من الشجاع الذي يعلم أن الحق بين يديه ؟ ألسنا على الحق إن حيينا وإن متنا ؟ فعلى الحق إذن فلنمت ولا نعيش على الباطل، فالباطل كريه والجبن كريه . وذلك ملتقى العدل والشجاعة في قلب العادل الشجاع»[1] .

ومن مواطن الإجمال قول العقاد :

«وما لم يكن عزل العمال لسبب من أسباب السياسة العليا التي من هذا القبيل فلا جزاء إلا بقسطاس دقيق محيط ولا سيما في الشئون المالية ، لأنه يعتمد في محاسبتهم على وسائل متفرقة يستدرك بعضها نقض بعض ، فلا تكاد تخفى عليه خافية مما يريد الوقوف عليه»[2].

وقام بتفصيل بعض من هذه الوسائل بعد ذلك في عدة فقرات متتالية :

«فمن هذه الوسائل أنه كان يحصي أموالهم قبل الولاية ليحاسبهم بها على ما زادوه بعد الولاية مما يدخل في عداد الزيادة المعقولة ، ومن تعلل منهم بالتجارة لم يقبل منه دعواه لأنه كان يقول لهم : إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارًا .

ومنها أنه كان يرصد لهم الرقباء والعيون من حولهم ليبلغوه ما ظهر وما خفى من أمرهم ، حتى كان الوالي من كبار الولاة وصغارهم يخشى من أقرب الناس إليه أن يرفع نبأه إلى الخليفة .

ومنها أنه كان يندب لهم وكيلاً خاصًا يجمع شكيات الشاكين منهم ويتولى التحقيق والمراجعة فيها ، ليستوفى البحث فيما ينقله الرقباء والعيون .

ومنها أنه كان يأمر الولاة والعمال أن يدخلوا بلادهم نهارًا إذا قفلوا إليها من ولاياتهم ، ليظهر معهم ما حملوه في عودتهم ويتصل نبؤه بالحراس والأرصاد

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

الذين يقيمهم على ملاقي الطريق . ومنها أنه كان يستقدمهم في كل موسم من مواسم الحج ليحاسبهم ويسمع ما يقولون وما يقال فيهم ، وعليهم شهود ممن يشاء أن يحضر الموسم من أهل البلاد»[1] ومن مواطن الإجمال قوله :

«ولابد أن يلفت النظر في سياسته للولاية وسياسته للقضاء أنه كان يأخذ الواجب حيث وجب ، وإن اختلف الواجبان»[2].

وفصل القول في هذه السياسة بعد ذلك :

ففي الولاية كان يتحرى البواطن ويمعن في تحريكها ولا يكتفي من الناس بالظواهر وفي القضاء وما شابه القضاء كان يكتفي بالظواهر حتى تنقضها البينة القاطعة ، وكان يعلن هذه الخطة على المنبر فيقول : «أظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر ، فإن من أظهر لنا قبيحًا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا ، أو يقول :

«إنما كنا نعرفكم إذ الوحي ينزل ، وإذ النبي ﷺ بين أظهرنا ، فقد رفع الوحي ، وذهب النبي ﷺ ، فإنما أعرفكم بما أقول لكم . ألا فمن أظهر لنا خيرًا وأثنينا عليه ، ومن أظهرلنا شر وأبغضناه .

بل له كان في الأخلاق الاجتماعية مذهب ثالث يشبه مذهبه في القضاء ، فكان يكره أن يكشف المرء من أخيه ما يستره عنه ، وينهي أن تظن بكلمة شرًا وأنت تجد لها في الخير محملا»[3].

ثم عاد العقاد للإجمال فقال :

«وهذه في الظاهر نقائض ، وفي الحقيقة واجبات متعددة كل منها في موضوع لازم»[4].

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٣،٤) المرجع السابق ، ص ١٠١ .

وانتقل بعد ذلك للتفصيل فقال :

« فالعلم بخبايا الحكومة واجب على كل ولي مسئول لا تنصلح الأحوال بغيره ، وفي الغفلة عنه مضرة محققة لجميع الناس .

والأخذ بالهيئة دون الظاهر في شئون القضاء واجب لا محيص عنه لضمان السلامة ومنع الجور ، وهو في أحد طرفين لا يخلو من الحذر الشديد من الطبيعة البشرية ، إذ فيه خشية من غواية الهوى أن تنطلق بالقضاة في الحكم بغير برهان .

وفي الأخلاق الاجتماعية لا يؤمن التقاطع بين الأصدقاء إذا جرت العلاقة بينهم على التجسس والخدعة ، ولا رعاية للمودة ما لم تكن رعاية للحرمات ومنها الأسرار »[1] .

فالعقاد في المثالين السابقين لجأ إلى الإجمال والتفصيل في صورة متتالية ، وكأنه ينتقل بذهن القارئ من حال إلى حال ، محاولاً تنشيط ذهنه .

فبدلاً من أن يسرد الأحداث متتالية لجأ أولاً إلى الإجمال لكي يثير ذهن المتلقي بطرح سؤال ما حول هذه العبارة المجملة ، فإذا بالقارئ يجد الإجابة في الفقرات التالية .

وأرى أن العقاد لجأ إلى ذلك رغبة منه في ترسيخ الفكرة في ذهن القارئ، فالسرد المتوالي مدعاة للملل ، على حين أن الإجمال والتفصيل يعملان على تنشيط ذهن القارئ من ناحية ، ويساعد على ترابط الأفكار داخل النص الواحد من ناحية أخرى ، فالفكرة المجملة تدفع القارئ للبحث عن تفصيلاتها ، والتفصيلات تدفع القارئ لربطها بالفكرة المجملة وهكذا .

ومن مواطن الإجمال أيضًا قوله :

« فكل عمل من هذه الأعمال سهل على القرطاس صعب عند تصورنا إياه وإحاطتنا بما يستدعيه من تدبير وإنجاز وخلق وهيبة »[2] .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٠١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

ثم فصَّل القول بعد ذلك في هذه الأعمال :

« فكم بين المدينة وتلك الأطراف في زمن أسرع وسائله بعير سريع ! وكم عمل عمر لملاحقة كل جيش يسير وكل بلد يفتح ، وكل أمة تحكم ، وكل عارض يطرأ على غير رقبة ولا سابقة خبرة .. ؟

تجنيد الجيوش لشتى الميادين وليس بسهل ، واختيار القواعد على حسب ما يندبون وليس بسهل ، والأمر بكل حركة على حسب كل ميدان وليس بسهل ، والسؤال عن قادة الأعداء ومداورتهم ليستقصى خبرهم ويعرف ما يقابلهم به من الكيد وليس بسهل ، وإنشاء المدن والعمائر في مواضعها ، وإقامة الدواوين عند الحاجة إليها وإرضاء الأمم والجيوش بالإصغاء إلى شكاياتهم ولو جاءت في غير أوانها ، والنهوض للكوارث والأزمات بما ينبغي لها ، والمشاورة لما تسمع منه المشورة بغير ما شكاه... » [1] .

ومن أمثلة الإجمال قول العقاد :

« فما أحجم عمر قط عن مصارحة النبي عليه السلام برأي يراه ، ولو كان ذلك الرأي من أخص الخصائص التي يقف عندها الاستقلال »[2].

ثم فصل القول في هذه الآراء :

« فكان عمر يشير على النبي عليه السلام أن يحجب نساءه ، ويبلغ ذلك إحدى أمهات المسلمين زينب فتقول له : إنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل علينا في بيوتنا ! وتخرج إحداهن سودة وهي تحسب أن أحدًا لا يعرفها لاستتارها بالظلام فيعرفها بطول قامتها ويناديها « عرفتك يا سودة! « ليؤكد ضرورة الحجاب ، فيؤمر المسلمون بعد ذلك ألا يسألوهن إلا من وراء حجاب .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

ولما هم النبي عليه السلام بالصلاة على ابن أُبي كبير المنافقين يوم وفاته تحول عمر حتى قام في صدره ، وأخذ يذكره مساوئ عبد الله وأقاويله في النكاية بالإسلام ، وحكم القرآن فيه وفي أمثاله أن ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ (التوبة:٨٠) وألح في التذكير حتى أكثر على النبي عليه السلام وهو يبتسم ويقول له (أخر عني يا عمر ، لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له زدت) ثم صلى عليه ومشى معه حتى فرغ من دفنه .. ثم ما كان إلا يسيرًا كما قال عمر حتى نزلت هاتان الآيتان :

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ (التوبة:٨٤) .

وروى عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام أنه أنفذه إلى رهط المسلمين فقال له : اذهب إليهم «فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة» فكان أول من لقي عمر ، فصده وعاد به إلى النبي يسأله :

«يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، أبعثت أبا هريرة من لقي يشهد أن لا إله إلى الله مستيقنًا بها قلبه بشره بالجنة ؟ قال النبي . نعم فلم يتريث عمر أن قال : «فلا تفعل يا رسول الله ! فإني أخشى أن يتكل الناس عليها . فخلهم يعملون «فوافقه عليه السلام وقال : «فخلهم»[1] .

وتظهر علامة الإجمال والتفصيل ظهورًا جليًّا في الفصل الخاص بـ (عمر والصحابة) ، لأننا نجد افتتاحية الفصل مكونة من عبارتين هما :

«بايع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه» .

«وبويع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه»[2].

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

ويأتي تفصيل العبارة الأولى في عدة صفحات متوالية ، وبالمثل العبارة الثانية»[1] فقام الفصل برمته على الإجمال والتفصيل مما ساعد على تماسك وترابط فكرته من بداية الفصل وحتى نهايته .

ومن أمثلة الإجمال والتفصيل أيضًا قول العقاد مجملاً :

«ورعى عمر قدر الصحابة والتابعين ، كما رعوا قدره ... إلا أنه كان مفضلا في هذه كما كان مفضلاً في جميع محامده وحسناته ، فإنه دعى أقدارهم وهو مستطيع ألا يرعاها ، وقليل منهم مَنْ كان قادرًا أن يعمل غير ما عمل ويقول فيه غير ما قال»[2] .

ثم فصَّل القول في مراعاة عمر لأقدار الصحابة :

«جمع منهم مجلس المشورة لا يبرم أمرًا ولا ينقضه إلا بعد مذاكرتهم والاستئناس بنصيحتهم وسابق عملهم من مأثورات النبي وأحاديثه .

وارتفع بهم أن يكونوا أتباعًا له فجنبهم ولاية الأعمال قائلاً لمن راجعه في ذلك : «أكره أن أدنسهم بالعمل» فسبق الدساتير العصرية بحسن تقسيمه وصادق حدسه وتدبيره . هم مجلس الأمة وليس لأحد من مجلس الأمة أن يلي عملاً من أعمال الحكومة ، فهما في الدولة وظيفتان لا تجتمعان .

وقدم صغارهم على أعظم العظماء من رؤوس القبائل وقروم الجزيرة العربية»[3].

ومن خلال العرض السابق يتبين للباحثة أن علاقة الإجمال والتفصيل كانت من أكثر العلاقات الضمنية شيوعًا في عبقرية عمر .

---

(١) ورد تفصيل العبارة الأولى في الصفحات من ١٤٣-١٤٧ أما تفصيل العبارة الثانية فورد في الصفحات من ١٤٨ إلى ١٦٣ .

(٢،٣) عبقرية عمر ، ص ١٥٠ .

وترى الباحثة أن بين علاقة الإجمال والتفصيل نوعًا من الإحالة ، وهذه الإحالة هي التي ساعدت على تماسك النص ، فالإجمال يحيل إلى التفصيل ، والتفصيل يحيل إلى الإجمال وقد نتج عن هذه الإحالة نوعًا من التماسك على عدة مستويات :

١- بين عنوان النص وفصوله .

٢- بين عنوان الفصل وما يندرج تحته .

٣- بين فصول العبقرية .

٤- بين فقرات الفصل الواحد .

ومن ثَمَّ أسهمت علاقة الإجمال والتفصيل في تماسك النص المدروس .

* * *

المبحث الخامس

التقابل الدلالي

وأعني به التقابل الذي يحدث بين أجزاء النص على المستوى الدلالي العميق . وقد تجلت هذه الظاهرة في مواطن متعددة من العبقرية ، وأغلب هذه المواطن تمثَّل فيها التقابل الدلالي بشكل جزئي ، وأعني بذلك أنَّ التقابل الدلالي سيطر على عبارة أو عبارتين من الفصل ، ومن ثَمَّ سيطر على فكرة أو فكرتين فقط من الأفكار التي يضمنها الفصل[1] .

ولكن حديثي في هذا المقام سوف ينصب على فصل سيطرت عليه هذه الفكرة بأكملها ، بمعنى أن الفصل قام أساسًا على (التقابل الدلالي) وهذا الفصل هو الفصل الموسوم بـ (عمر والحكومة العصرية) .

وفكرة هذا الفصل قائمة على المقابلة بين سياسة الفاروق في حكم العالم الإسلامي وسياسات الحكومات العصرية على اختلاف أشكالها في الحكم .

فقام العقاد برصد هذه المواقف التي تبرز هدفه من المقابلة ومنها :

«أنه ـ وهو أقدر المالكين في عصره ـ كان يقنع بالكفاف ويلبس الكساء الغليظ ويهنأ إبل الصدقة ـ أي يداويها بالقطران ـ ويراه رسل الملوك وهو نائم على الأرض نومة الفقير المدقع ، وتعرض له المخاضة وهو داخل إلى الشام

---

(١) من هذه المواضع :

١- المقابلة بين مكانة عمر بن الخطاب في حالة عدم ظهور الإسلام وبين مكانته بعد ظهور الإسلام ، عبقرية عمر ، ص ٧ .

٢- المقابلة بين شدة عمر ولين وهوادة أبي بكر ، ص ٨ .

٣- المقابلة بين مقاييس العبقرية لدى القدماء ولدى المحدثين ، ص ١٣ .

٤- المقابلة بين الشخصية الكاملة والشخصية المنقوصة ، ص ٥٠ ، ٥١ .

فينزل عن بعيره ويخلع خفيه ويخوض الماء ومعه بعيره ، ويسافر مع خادمه فيساوي بينهما في المأكل والمركب والكساء .

حاكم من حكام العصر الحديث لا يصنع هذا ولا يطالب بأن يصنعه ، وهو وأبناء العصر الحديث على حق فيما ارتسموه لأنفسهم من السمت والشارة ، لأن حاكم الأمة يحتاج إلى المهابة بين قومه وغيرهم من الأقوام ، وهذا حسن مشكور»[1] .

ففي هذا المثال يتضح لنا المقابلة بين مصدر المهابة العمرية التي تنبع من ثبات العقيدة ، على حين ترتسمها حكومات العصر الحديث وتستمدها من السمت والإشارة .

ومثال آخر ورد في نفس الفصل :

«إنما كان الرجل يحاسب غيره فيعطيه حقه في غير بخس ولا حرج ، ويحاسب نفسه فيؤثر الشدة ليقطع الشك ويدرأ الشبهة ويقتدي بصاحبيه ، ويترك القدوة المثلى لمن يليه ، فلا سبيل عليه لباحث في نظم الحاكم ولا لباحث في معاني الأخلاق .

على أن عصورنا الحديثة تستغرب الشظف من عمر وهل تهلل لملوكها وتكبر لهم حين يستنون لأنفسهم سنته في بعض أوقات الضيق والمحنة ، وهي الأوقات التي ينتبه فيها شعور الرعية للفارق بينها وبين راعيها في المعيشة والتكليف وأكثر ما يكون ذلك في أوقات المجاعات والحروب وشح المئونة على الإجمال»[2].

وفي هذا المثال يظهر التقابل بين عجب العصور الحديثة من شظف معيشة ابن الخطاب ، وبين تهليلهم لملوكهم متى قلدوه في بعض أوقات الضيق والمحن .

واستمرت المقابلة داخل هذا الفصل أيضًا فقال :

«كان عمر يعس في المدينة فسمع صوت رجل وامرأة في بيت فتسور

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١١٠ ، ١١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

الحائط فإذا رجل وامرأة عندهما زق خمر . فقال : يا عدو الله ! أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على مصيبة ؟ فقال يا أمير المؤمنين أنا عصيت الله في واحدة وأنت في ثلاث فالله يقول : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ (الحجرات:١٢) وأنت تجسست علينا ، والله يقول : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (البقرة:١٨٩) وأنت صعدت الجدار ونزلت منه ، والله يقول : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (النور:٢٧) ، وأنت لم تفعل ذلك ، فقال عمر : هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟ قال : نعم ، والله لا أعود . فقال : اذهب فقد عفوتك عنك .

فالدساتير الحرة تمنع الرقابة وفض الرسائل واستباحة الأسرار .. والحكومات مع هذا المنع الدستوري تضطر إلى استطلاع الأحوال واتقاء الجرائم بمراقبة المتهمين وذوي الشبهات فإذا اتفق في حادث من الحوادث أنها استباحت سراً يدل على جريمة محظورة فماذا يكون من سير الإجراءات الرسمية ؟ ويكون ما كان من عمر في الحدث الذي رويناه بغير اختلاف...»[1].

وفي هذا السياق يقابل العقاد بين السياسة العمرية في استطلاع أحوال الرعية وبين الإجراءات الرسمية التي تنتهجها الحكومات العصرية .

وأرى أن العقاد كان يعول في المستوى الدلالي العميق على المفارقة ، بمعنى أن الظاهر من العبارات السابقة هو (التقابل الدلالي) ولكن العقاد حول هذا التقابل بفعل السياق الوارد فيه إلى تقابل وتشابه في آن واحد .

وأعني بذلك أن السياسات العمرية التي تتعجب منها الحكومات الحديثة تنتهجها الآن ولو بطرف خفي .

فالعقاد يسعى إلى تماسك فصول العبقرية عن طريق التوكيد بالتقابل الدلالي على فكرة السبق والتفرد للفاروق، ومن ثَمَّ فهو يؤكد العبقرية العمرية .

* * *

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

المبحث السادس

الوصل دون أداة

وهو ما عرفه الجرجاني بقوله «كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغنى بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها»[(١)].

وأقوم في هذا المبحث بتحديد نوع هذا (المعنى) المراد الذي أشار إليه الجرجاني في تعريفه السابق .

وقد أطلق الدكتور تمام حسان على هذا المبحث (العلاقات الملحوظة)»[(٢)].

وهذه المعاني مستنبطة من الترابط المفهومي Conceptual Connectivity الذي ينشأ من ارتباطك جمل النص ، وقد وصِفت هذه العلاقة بأن فيها :

«من الدقة في تحليل المعاني والتعرف على طبائعها ما لا يستهين به إلا متهاون لا يلتفت لما يقول»[(٣)].

وقد ذكر الجرجاني ثلاثة أنماط من علاقات الوصل الضمني وهي :

١- التوكيد .

٢- الخبر والحكاية .

٣- الإجابة عن سؤال ضمني»[(٤)].

---

(١) دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٧ .

(٢) البيان في روائع القرآن ، دكتور تمام حسان ، ٣٩٥/١ ، ويرى دكتور محمد حماسة أن كلمة (الملحوظ) تعني المرأى (من اللحظ) ويرى أنه من الأفضل أن نطلق على مثل هذه العلاقات (العلاقات الدلالية) .

(٣) من أسرار التعبير القرآني ، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، دكتور محمد محمد أبو موسى ، ط الثانية ، ١٩٩٦ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص ٦٩ .

(٤) انظر ص : ٢٤ ، ٢٥ من هذا البحث .

على حين ذكر الدكتور تمام حسان عشرة أنماط[1] وهي :

١- علاقة السببية :

قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٤٣) أي لأن الله رءوف رحيم بخلقه .

٢- العلاقة التفسيرية :[2]

وعلامة العلاقة التفسيرية أن يصح تأويلها بعبارة (أي أن المقصود كذا) ، فإذا صح هذا التقدير كان ذلك دليلاً على أن الجملة الثانية تفسير لمضمون الأولى :

قال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (البقرة:١٧،١٨) .

أي أن المقصود بكونهم في ظلمات أنهم صم بكم عمي فليس لحواسهم رجع إحساس أو صدى إدراك .

٣- النقض والإبطال (قلب الدعوى) :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾

(البقرة:١١،١٢).

ادعوا أنهم مصلحون فأبطل الله تعالى دعواهم ونسبهم إلى نقيضها »[3].

---

(١) انظر البيان في روائع القرآن ، دكتور تمام حسان ، ١/٣٩٥-٤٢١ .

(٢) تدرج هذه الأمثلة لدى الجرجاني تحت قسم التوكيد لأن (حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك) دلائل الإعجاز ص ٢٢٩ .

(٣) أدرج عبد القاهر هذه الأمثلة تحت نمط (الخبر والحكاية) .

٤- العلاقة الشرطية :

قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ (البقرة:١١٤) أي من سعى في منع ذكر الله في مساجده وسعى في خرابها فلن يدخلها إلا خائفًا .

٥- الترتيب والتعقيب :[1]

ويظهر أكثر ما يكون في توالي الأقوال في الحوار :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٣٠) أي فقالوا ..... فقال .....

٦- علاقة الملابسة :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ (البقرة:١٢٧) أي قائلين ربنا تقبل منا .

٧- الإلزام :

ويعني به استعمال عبارات خبرية أو مصادر منصوبة أو نحو ذلك مما يفهم منه الإلزام ، ومن الإلزام بالعبارات الخبرية قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ (البقرة:٢٢٨) وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾ (البقرة:٢٣٣).

٨- الالتزام :

قد يأتي الالتزام في صورة مصدر منصوب نحو ﴿ وَعْدًا عَلَيْنَآ ﴾ ، أو فعل مضارع مؤكد بالنون نحو ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ ، أو جملة خبرية نحو ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أو على صورة أخرى مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا

---

(١) أدرج الجرجاني هذا القسم تحت الإجابة عن سؤال ضمني .

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٣٨) وجاء الالتزام هنا في صورة الجملة الشرطية .

٩- علاقة الإجابة عن سؤال وارد :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة:١٨٦) كأن سائلاً سأل : ما معنى هذا القرب ؟ فكان الجواب : معناه إمكان إجابة الدعوة .

١٠- التفصيل :

فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود:١٠٥) أي ومنهم سعيد وقد ظهرت بعض هذه الأنماط داخل العبقرية ومنها :

١- علاقة التوكيد :

وأعني بها أن هناك علاقة دلالية نشأت من توالي جملتين فربطت بينهما دون الحاجة إلى أداة للوصل ، وهذه العلاقة هي التوكيد .

ومن ذلك قول العقاد :

« إنما الأمر الميسور في التعريف بهذا الرجل العظيم أن خلائقه الكبرى كانت بارزة جدًا لا يسترها حجاب »[١].

فجملة (لا يسترها حجاب) خبر ثان لكان ، وهذا ارتباط نحوي نتج عنه علاقة دلالية هي التوكيد ، فهذه الجملة إن عطفت بالواو ـ على سبيل المثال ـ على سابقتها لتغير المعنى إلى المغايرة ، أما كونها تأتي بدون أداة للعطف ، وتقع خبر ثان لكان فقد أفادت بذلك معنى التوكيد ، وذلك لأن « ليس يثبت الخبر غير الخبر ، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه وعاطف يعطفه عليه »[٢].

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٧ .

فكأن العقاد قال : « كانت بارزة جدًّا ، كانت بارزة جدًّا » .

ولكن التوكيد ينفي الضد كان آكد وأبلغ .

ومن ذلك أيضًا قوله :

وأعجب من هذا التوافق بين صفاته أن الصفة الواحدة تستمد عناصرها من روافد شتى ولا تستمدها من ينبوع واحد ، ثم هي مع ذلك متفقة لا تتناقض ، متساندة لا تتخاذل ، كأنها لا تعرف التعدد والتكاثر في شيء »[1] .

فتعدد أخبار المبتدأ (هي) : (متفقة ، لا تتناقض ، متساندة ، لا تتخاذل) خلق جوًّا من التوكيد المتتالي عن طريق تعدد الأخبار من ناحية ، وكون هذه الأخبار تسير وفق آلية محددة هي ذكر الوصف ونفي الضد من ناحية أخرى.

والذي خلق أيضًا هذه الاستمرارية هو ذكر الوصف بصيغة (اسم الفاعل) ، ونفي الضد عن (الزمن المضارع) في الخبر التالي له ، فسرى معنى التوكيد في هذه الأخبار من حيث بنيتها ودلالتها .

٢- الإجابة عن سؤال ضمني :

وأعني بها أن العقاد أثناء عملية الكتابة كان معنيًّا بالمتلقي ، لأن الرسالة التي يكتبها موجهة إليه في المقام الأول ، فقام العقاد بطرح الأسئلة التي قد ترد في ذهن المتلقي ، ولكنه لم يكتبها في نص العبقرية ، وإنما أعطى إجابات يدلل نصها على مضمون السؤال . ومن ذلك :

« أنقول رجل قوي ؟ نعم هو رجل قوي لا مراء ، وكل عظيم فهو قوي بمعنى من معاني القوة . نعلم هذا فنعلم الشيء المهم عنه »[2] .

فقوله : (نعلم هذا فنعلم الشيء المهم عنه) كأنه يجيب عن سؤال ضمني في ذهن المتلقي وهو : (لم نعلم هذا؟) أو (لماذا تعلمنا بذلك؟) .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ ، ولمزيد من الأمثلة انظر عبقرية عمر : ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣، ٣٧ ، ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

وقوله :

«سبر غوره واستكنه عظمته ، وعرفه في أصلح مواقفه فعرف الموقف الذي يتقدم فيه على غيره ، والموقف الذي هو أولى بتقديم غيره عليه .

وليست هي مفاضلة بين رجلين ولا موازنة بين قدرتين ... ولكنها مسألة التوفيق بين الرجل والموضع الذي ينبغي أن يوضع فيه ، والمهمة التي ينبغي أن بندب لها ، والوقت الذي يحين فيه أوانه»[1] .

فقوله (ليست هي مفاضلة ...) تعد ردًّا على سؤال ضمني في ذهن المتلقي هو : (هل ما ذكرته يعد مفاضلة بين رجلين أو موازنة بين قدرتين؟) .

وقوله :

« .... لم أر عبقريًّا يفري فرية ...» .

كلمة قالها النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه ، وهي كلمة لا يقولها إلا عظيم عظماء ، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال»[2] .

فقول العقاد (كلمة قالها النبي عليه السلام ...) يعد ردًّا على سؤال في ذهن المتلقي حول طبيعة هذه الكلمة .

«وقوله : كان عادلاً لأسباب كأنه عادل لسبب واحد لقلة التناقض فيه وربما كان تعدد الأسباب هو العاصم الذي حمى هذه الصفة أن تتناقض في آثارها»[3].

فقوله «ربما كان تعدد الأسباب هو ....» يعد ردًّا على سؤال ضمني تقديره (ما الذي حمى صفة العدل من التناقض؟) .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

وقول العقاد :

«ومن فرط حسه وتوفز شعوره أنه كان يميز بين بعض المذوقات والمشمومات التي لا يسهل التمييز بينها سقاه غلامه ذات يوم لبنا فأنكره ، فسأله : ويحك من أين هذا اللبن ؟ قال الغلام : إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها فحلبت لك ناقة من مال الله»[1] .

فقوله (ومن فرط حسه وتوفز ... التي لا يسهل التمييز بينها) أثار في ذهن المتلقي سؤالاً : ما دليلك على هذا ؟ فأجاب العقاد بذكر هذا المثال ليؤكد كلامه السابق .

* * *

(١) عبقرية عمر ، ص ١٦ .

المبحث السابع

الخطاب الحجاجي

إن أبسط تعريف للحجاج Argumentation أنه وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم ، وباعثه الأول هو الاختلاف Diragreement بين طرفين .

«والغاية التي يرمى إليها الحجاج هي تحقيق الاستمالة Adherence ، استمالة المتلقي لما يعرض عليه من رأي أو دعوى Thesis ، والتأثير العملي في سلوكه وبالجملة الإقناع»[1].

وكان هذا هو الهدف الرئيسي للعقاد من كتابه العبقرية ، إقناع المتلقي بعبقرية الشخصية العمرية ، فسعى العقاد سعيًا دؤوبًا عبر فصول العبقرية لاستمالة المتلقي إليه ، وانعكس هذا الغرض على أسلوب العقاد ، فاللغة تقوم «في الخطاب الحجابي بدور جوهري وفاعل في تحقيق التأثير والاستمالة ، فالمفردات والتراكيب التي يختارها المتكلم لوصف حدث ما تعكس موقفه تجاه ذلك الحدث من جهة ، وتضع ذلك الحدث في نسق تصوري بعينه ، يؤثر في تحديد الموقف الذي يتخذه المتلقي تجاه ذلك الحدث من جهة ثانية»[2].

وقد برزت هذه اللغة في عدة مواطن من العبقرية أذكر منها التهمة التي ألصقت بالفاروق وتواترت عن موقفه من مكتبة الإسكندرية التي قيل إنه أمر بإحراقها فقام العقاد بدفع هذه التهمة عنه ، وأورد في بداية حديثه حجة تقطع كل شك نابعة من أناس لا يدينون بالإسلام فيقول :

---

(١) البلاغة والاتصال ، دكتور جميل عبد المجيد ، ط دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص١٠٧.

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

«وأحرى شيء أن يلاحظ في مسألة المكتبة هذه أن الذين أدحضوها وأبرأوا عمر من تبعتها كان معظمهم من مؤرخي الأوروبيين الذين لا يهتمون بالتشيع للمسلمين وكانوا جميعًا من الثقات الذين يؤخذ بنتائج بحثهم في هذا الموضوع»[1].

فشهادة المستشرقين من أمثال المؤرخ الإنجليزي إدوارد جيبون والدكتور الفرد بتلر والمستشرق كازانوفا أثبتت أن هذه الخرافة ألفها أجنبي بعد موت ابن الخطاب بستة قرون.

هذا عن المستشرقين، أما عن المشارقة فأورد العقاد رأي جورجي زيدان فقال: «أنه كان يميل إلى نفي الحكاية ثم عدل عن ميله هذا إلى قبولها»[2].

ويخلص العقاد من جملة هذه الآراء إلى نتيجة يذكرها: «يحق لنا أن نعتقد أن كذب الحكاية أرجح من صدقها، وأنها موضوعة في القرن الذي كتبت فيه ولم تتصل بالأزمنة السابقة له بسند صحيح، وربما كانت مدسوسة على الرواة المتأخرين للتشهير بالخليفة المسلم وتسجيل التعصب الذميم عليه وعلى الإسلام»[3].

وعلل العقاد بعد ذلك أسباب انتهائه لهذه النتيجة، وجملة هذه الأسباب تدور حول عناصر تزييف هذه الحكاية وأنها لم تكن لتجتمع في وقت واحد قبل القرن السادس الهجري، ومنها أن يكون الملفق عليم بالأحوال التي أُثرت عن عمر بن الخطاب، وعالمًا بما في هذه التهمة من المعابة، ووجود حزازة بين الإسلام وخصومه .....

والطريقة السابقة التي اتبعها العقاد في إدحاض هذه التهمة عن الفاروق تعد نمطًا من أنماط الحوار الحجاجي وتسمى (التحقيق Inquiry).

---

(١) عبقرية عمر، ص ١٧٧.

(٢،٣) المرجع السابق، ص ١٨٠.

يتسم الوضع فيه بافتقاد دليل يثبت صحة واقعة ما ، وثمة معلومات سابقة على الواقعة يقوم المحقق بجمعها ، ويبني عليها حجاجًا متصاعدًا حتى يصل إلى دليل قاطع على صحة الواقعة»[1] .

ثم ينتقل العقاد إلى نمط آخر من أنماط الحوار الحجاجي ليعالج به نفس المسألة ، وهذا النمط هو حوار الإقناع Persuasion Dialogue ، أو المناقشة النقدية Critical Discussion .

وفي هذا النمط يتحاور «مشاركان لكل واحد منهما رأي مختلف عن الآخر، ويحاول كل منهما أن يثبت رأيه اعتمادًا على قواعد الاستدلال Inference من مسلمات المشارك الآخر»[2] أي أنني أحاول إقناعك انطلاقًا من مقدمات أنت تقبلها ، ففرض العقاد بعد ذلك أن عمر بن الخطاب أمر بإحراق مكتبة الإسكندرية ، وناقش هذا الفرض من خلال طرح العديد من أساليب الاستفهام التي خرجت عن معنى طلب العلم إلى معان أخرى أبرزها الإنكار : « إلا أننا على الرغم من كل هذا نفرض أن عمر بن الخطاب أمر بإحراق مكتبة الإسكندرية ، فما هي الوصمة التي تلحقه من هذا الأمر ؟ ولماذا كان يحرم عليه أن يحرقها ويجب عليه أن يستبقيها ويفتح أبوابها ؟ ولماذا كان ينبغي أن يكون على يقين أنها شيء مفيد للمسلمين ولغيرها من الأمم ، وأنها ذخيرة من ذخائر العالم لا يجوز التفريط فيها ؟ أمن نقص في تفكير الإنسان أن ينشأ بمعزل عن بلاد اليونان وعن عصر حكماء اليونان فلا يطلع على الفلسفة اليونانية ؟ أكانت فائدة تلك الكتب واضحة كل الوضوح من أحوال أقوامها الذين حفظوها ، إن صح أنهم حفظوها ؟

فإن كان عمر مطالب بعلم الفلسفة اليونانية أو غير ملوم على فوات الاطلاع عليها ، وإذا كانت أحوال الأمم التي هي أهلها لا تدل على قيمتها بل تسوغ

---

(١) البلاغة والاتصال ، دكتور جميل عبد المجيد ، ص ١١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١١ ، ١١٢ .

الاعتقاد بخلوها من كل قيمة فأين هو العيب في تفكيره إن صح أنه فكر على ذلك المنوال؟[1] وقد تراوح معنى الأساليب الاستفهامية بين التعجب والإنكار .

فأساليب الاستفهام أنكرت معاداة الفاروق للمعرفة أو الفلسفات اليونانية التي لم تصلح حال أهلها ، وعلل العقاد ذلك انطلاقًا من موقع الفاروق كخليفة للمسلمين .

فمن خلال التجربة الواقعية أيقن عمر أن المسلمين بكتابهم خرجوا من الظلمات إلى النور ، وانتصروا على من حاربوه وعندهم كل كتاب .

وما فرغ المسلمون بعد من قراءة القرآن ولا انقضت على تداوله بينهم سنوات . فكيف يرضى الخليفة الذي يهمه أمر رعاياه أن ينصرفوا عنه إلى كتب لا يؤمن ما فيها؟» [2] ومن خلال العرض السابق يتضح لنا أن اتباع العقاد للحوار الحجاجي (التحقيق) أو (المناقشة النقدية) ، كان الهدف منه في النهاية إقناع المتلقي بأن الفاروق على صواب في كلتا الحالتين وأن هذا لا ينقص من قدره أو مكانته .

« فعلى أي فرض من الفروض لم يكن في تصرف عمر ما يأباه العقل »[3].

* * *

---

(١) عبقرية عمر ، ص ١٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

ولمزيد من الأمثلة : انظر (أ) رد العقاد على وصف المستشرقين للفاروق بأنه محدود التفكير ، ص ٣٥ .

(ب) رفض العقاد المبالغة الواردة في رواية ضرب الفاروق لابنه ، ص ٢٣ .

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة على المستوى التنظيري والمستوى التطبيقي الإفادة من المناطق المضيئة في تراثنا العربي ، إضافة لما يتفق مع طبيعة لغتنا العربية من الوفد الغربي .

وفي إطار هذه القراءة انتهت الدراسة إلى النتائج التالية :

١- بينت الدراسة أن النحاة القدماء قد أشاروا إلى الربط بين مفردات الجملة وإلى ربط جملة بأخرى ، وقد وردت هذه الإشارات في مواضع متفرقة دون تخصيص مبحث مستقل للربط إلى أن جاء (ابن هشام) وخصص له مبحثا مستقلا .

٢- أكدت الدراسة أن النحاة القدماء قد فطنوا إلى أن الربط بين الجملتين يمكن أن يكون ربطا بأداة أو ربط دون أداة ، وأعني به الربط المفهومي ، فمهدوا بذلك الطريق لنشأة علم معاني النحو .

٣- بينت الدراسة أن بعض النحاة استخدموا مصطلح (الوصلة) بمعنى الاتصال للتعبير عن الربط .

٤- توصلت الدراسة إلى أن مفهوم النظم لدى الجرجاني يترادف مع المصطلحات التالية :

النظم	المعنى النحوى الدلالى	الشعرية	السبك والحبك
عبد القاهر الجرجاني	دكتور محمد حماسة	الوافد الغربي	علماء النص

٥- ورد مفهوم السبك في بعض كتب القدماء أمثال : الجاحظ والباقلاني وعبد القاهر الجرجاني ، واقترن في بعض النصوص بكلمة النسيج ، وقد عبروا بهذا عن مدى نجاح الشاعر في التوفيق بين خط المعجم وخط

النحو ، أي أن مفهوم السبك لدى القدماء كان يوازى مصطلحي السبك والحبك لدى علماء النص .

٦- بين البحث أن مبحث (الفصل والوصل) لدى عبد القاهر الجرجاني يعد أساسا للدراسات النصية ، وذلك لأنه :

أ- أكد من خلال هذا المبحث أن اللغة العربية لغة الوصل ؛ وصل بالأداة وقصر على أدوات العطف وخص منها الواو بالذكر ، ووصل دون أداة وشمل : التوكيد ، والخبر والحكاية ، والإجابة عن سؤال ضمني .

ب ــ عالج في هذا المبحث عطف جملة على جملة وعطف مجموعة جمل على مجموعة جمل وانطلق من ذلك إلى قطعة أو إلى عدة أبيات ، مبينا أن المتلقي عليه ألا يُقر للمبدع بالحذق والأستاذية إلا بعد دراسته للقطعة أو لعدة أبيات .

٧- أكد البحث أن حازم القرطاجني قد سبق علماء النص بعدة قرون في وضع إطار تنظيري دقيق لحبك النص وذلك لأنه :

أ- فطن إلى أن القصيدة هي الوحدة النصية الكبرى ، وأن البيت هو الوحدة النصية الصغرى ، وقسم القصيدة إلى فصول .

ب ــ وضع شروطا ينبغي مراعاتها لحبك فصول القصيدة الواحدة .

ت ــ وضع حازم القرطاجني في اعتباره حال المبدع والمتلقي أثناء صياغته لهذا الإطار التنظيري .

٨- أكدت الدراسة على أهمية السياق في تحليل النص الأدبي ، وبينت أن عزل لغة النص عن سياقها تحول التحليل اللغوي في عملية قالبية Modular

٩- بين البحث أن كثيرا من علماء النص قد خلطوا بين مفهوم النص ومفهوم الخطاب ، فمنهم من استخدم مصطلح النص كمرادف لمصطلح الخطاب ، ومنهم من أطلق مصطلح النص على النص المكتوب ومصطلح الخطاب على الكلام المنطوق .

١٠- بين البحث أن تعريف النص من أكثر المناطق خلافا بين علماء النص ، وقد أرجعت ذلك لعدة أسباب منها :

(أ) محاولة علماء النص وضع إطار تنظيري يصلح لتحليل اللغة الأدبية واللغة غير الأدبية .

(ب) اختلاف الأسس المعرفية التي ينطلق منها كل تعريف .

١١- توصلت الباحثة إلى تعريف للنص وهو أنه :

(حدث لغوي مفتوح ناتج من تضافر العلاقات الأفقية والعلاقات الرأسية للغة ، ويحتاج إلى الفهم والإصغاء)

وأعني بالفهم الحركة الجدلية بين توافق الكلمات وتخالفها ، والإصغاء هو ضرب من التفاني في فهم هذه العلاقات .

١٢- أكد البحث ضرورة الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص .

١٣- بين البحث أن المعايير التي اتفق عليها علماء النص لتحقيق نصية النص ظهرت بصورة متفرقة لدى قدامى البلاغيين والنقاد .

١٤- بينت الدراسة أن معياري السبك والحبك هما أوثق معايير النصية ارتباطًا بالدرس اللغوي فاقتصرت عليهما .

١٥- حاولت الدراسة استنباط عناصر السبك من خلال النص نفسه دون الاقتصار على مقترحات علماء النص ، وقد ورد منها في العبقرية :

الإحالة ، والوصل بالأداة ، التكرار

١٦- بين البحث أن الإحالة في عبقرية عمر تنقسم إلى إحالة داخلية وإحالة خارجية .

١٧- أكد البحث إسهام الإحالة الخارجية في سبك النص متى اقترن ذلك بمهارة المتلقي في إيجاد العلاقة بينها وبين النص .

١٨- بين البحث أن ضمائر الغيبة تستخدم في الإحالة الخارجية ، بينما قصر علماء النص استخدامها على الإحالة الداخلية فقط .

١٩- بين البحث أن الإحالة الخارجية في عبقرية عمر أخذت شكل المحاورة بين المبدع والمتلقي ، مما يؤكد حضور المتلقي في ذهن المبدع أثناء عملية الإبداع .

٢٠- بين البحث أن الإحالة النصية لا تعد قسمًا ثالثًا من أقسام الإحالة بل إنها تندرج تحت الإحالةِ الداخلية .

٢١- بين البحث كثرة لجوء العقاد إلى إحالات النصية .

٢٢- بين البحث أن الإحالة الداخلية قامت بدور كبير في ربط أجزاء النص ، فربطت بين أجزاء الجملة الواحدة ، وفيما بين الفقرات ، وبين بداية النص ونهايته .

٢٣- أكدت الدراسة على عدم صلاحية بعض أقسام الوصل التي وضعها علماء النص الغربيين للتطبيق على لغتنا العربية نظرًا لعمومها ، في مقابل الخصوصية البالغة التي تتمتع بها أدوات الربط في اللغة العربية .

٢٤- بين البحث أن طبيعة الوصف والسرد الغالبة على لغة العبقرية قد دفعت العقاد إلى إيثار حروف ربط بعينها ، وكان أكثرها شيوعا (الواو) .

٢٥- بينت الدراسة أن التكرار كان من أكثر الوسائل التي وظفها العقاد ليبرز تماسك فكرته .

٢٦- بين البحث أن العقاد يفتتح فصول العبقرية بالنتيجة ويختتمها بتكرار ضمني لما ورد في بدايتها .

٢٧- بين البحث أن انتماء كلمات العبقرية إلى حقل دلالي متقارب أدى للترابط المفهومي بين فصول العبقرية كلها .

٢٨- بين البحث أن ترتيب فصول العبقرية استمده العقاد من تفاصيل الشخصية العمرية .

٢٩- بينت الدراسة أن علاقة التفصيل والإجمال كانت من أكثر العلاقات الضمنية شيوعا في العبقرية ، وقد ظهرت من خلال عدة مستويات :

١- بين عنوان العبقرية وفصولها .

٢- بين فصول العبقرية .

٣- بين عنوان كل فصل وما يندرج تحته .

٤- على مستوى فقرات الفصل الواحد .

٣٠- أكد البحث أن لجوء العقاد للتقابل الدلالي كان للتوكيد على فكرة بعينها ، وقد ظهر هذا التقابل على مستوى الفقرات ، وعلى مستوى الفصل بأكمله .

٣١- بين البحث لجوء العقاد لعلاقات الوصل بدون أداة ومنها : التوكيد والإجابة عن سؤال ضمني .

٣٢- بينت الدراسة لجوء العقاد إلى نمطين من أنماط الحوار الحجاجي هما : التحقيق والمناقشة النقدية .

وأخيراً ، فإن حب العربية والإخلاص للعلم هو ما يدفعني للبحث عن جواهر تراثنا القديم التي أهملت وغطاها تراب العقول التى تجد ملاذها في الوافد الغربي فقط .

ومتى انتقينا من الوافد الغربي ما يلائم خصوصية لغتنا العربية ، باحثين عن المناطق المضيئة في تراثنا العربي ، فإن هذا واجبنا نحو أجيال قادمة تبحث عن هويتها وسط تلاطم الأمواج .

والله الهادى إلى سواء السبيل

ثبت المراجع

القرآن الكريم

- الإبراهيمي ، دكتور خولة طالب . مبادئ في اللسانيات ، ط دار القصبة للنشر الجزائر ، ٢٠٠٠ .
- أبو موسى ، دكتور محمد محمد ، دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ .
- من أسرار التعبير القرآني : دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ .
- أولمان ، ستيفر ، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة دكتور كمال بشر ، مكتبة غريب ، الطبعة الثانية عشرة .
- بارت ، نظرية النص ، بحث ضمن كتاب (آفاق التناصية المفهوم والمنظور) ، ترجمة : محمد خير البقاعي ، سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ .
- الباقلاني ، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط دار المعارف ، القاهرة .
- بالمر ، ف . ر ، علم الدلالة ، إطار جديد ، ترجمة دكتور صبري إبراهيم السيد محمد ، ط دار قطرى بن الفجاءة ، قطر ١٩٨٦ .
- بروان ، ج. ب ، يول ، ج ، تحليل الخطاب ، ترجمة وتعليق دكتور محمد لطفي الزليطي ، دكتور منير التريكي ، ط جامعة الملك سعود ١٩٩٧ .
- البحيري ، دكتور سعيد ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، ط مكتبة زهراء الشرق .

- علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ .
- بريك ، محروس السيد يوسف ، المعنى النحوي الدلالي وأثره في تفسير النص الشعري وبيان تماسكه (دراسة نصية في المعلقات السبع) ، رسالة ماجستير كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- دوجراند ، روبرت ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : دكتور تمام حسان ، ط عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
- الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه : محمود شاكر ، مطبعة المدني بمصر ، دار المدني بجدة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ .
- الجزار ، دكتور محمد فكري ، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- حسَّان ، دكتور تمام ، البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية.
- الخلاصة النحوية ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة .
- اللغة العربية والحداثة ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، ج أول ، العدد الثالث ، ١٩٨٤ .
- موقف النقد العربي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية ، بحث ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) بجدة ، المجلد الآخر ، ١٩٩٠ .
- حسين ، دكتور عبد القادر ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ط دار غريب ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
- حماسة ، دكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، الإبداع الموازي ، التحليل النصي للشعر ، ط دار غريب ، ٢٠٠١ .
- الجملة في الشعر العربي ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ .
- ظواهر نحوية في الشعر الحر ، ط دار غريب .

- اللغة وبناء الشعر ، ط دار غريب ، ٢٠٠١ .
- حميدة ، دكتور مصطفى ، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ط الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ .
- خطابي ، محمد ، لسانيات النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ .
- خميس ، ليلى ، الربط النحوي في كتاب (فيض الخاطر) أحمد أمين ، رسالة ماجستير ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٩م .
- دايك ، فان ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، ط دار أفريقيا الشرق ، المغرب ، ١٩٩٩.
- روبنز ، ر . هـ ، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ، ترجمة : دكتور أحمد عوض ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ٢٢٧ ، نوفمبر ١٩٩٧ .
- الزناد ، الأزهر ، نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ .
- زهران ، دكتور البدراوي ، عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٧ .
- سلطان ، دكتور منير ، الفصل والوصل في القرآن الكريم ، ط دار المعارف ، ١٩٨٣ .
- السيد ، دكتور صبري إبراهيم ، تشو مسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه ، ط دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ .
- ديوان عنترة ، دراسة دلالية ، ط دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٢.
- معجم مصطلحات العلوم اللغوية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ .
- السيوطي : الأشباه والنظائر في النحو ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- شبلنر ، برند : علم اللغة والدراسات الأدبية ، ترجمة : دكتور محمد جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ .

- العبد دكتور محمد : حبك النص ، منظورات من التراث العربي ، مجلة فصول ، عدد ٥٩ ، ربيع ٢٠٠٢ .
- اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة (بحث في النظرية) ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ .
- النص الحجاجي العربي : دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، العدد ٦٠ صيف ٢٠٠٢ .
- عبد المجيد ، دكتور جميل : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ .
- البلاغة والاتصال ، ط دار غريب ، ٢٠٠٠م .
- عبد المطلب ، دكتور محمد : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ .
- العقاد ، عباس محمود : عبقرية عمر ، نهضة مصر ، الطبعة الثانية ١٩٩٩م .
- عمر ، دكتور أحمد مختار ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨ .
- فضل ، دكتور صلاح : بلاغة الخطاب وعلم النص ، مؤسسة مختار ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ .
- الفقي ، دكتور صبحي إبراهيم . علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء للطبع والنشر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م .
- فرنسيس ، مريم : في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية) ، منشورات وزارة الثقافة بسوريا ، ١٩٩٨م .
- القرطاجني ، حازم : مناهج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٦م.

- قطب ، مصطفى صلاح : دراسة لغوية لصور التماسك النصي في لغتي الجاحظ والزيات ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦م .
- كرستيفا ، جوليا : علم النص ، ترجمة : فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧م .
- لوتمان ، يوري : تحليل النص الشعري (بنية القصيدة) ، ترجمة دكتور محمد فتوح ، ط دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٥ .
- المالقي : رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تحقيق دكتور سعيد صالح مصطفى زعيمة ، ط دار ابن خلدون .
- مصلوح ، دكتور سعد : العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ، بحث ضمن الكتاب التذكاري المهدي إلى الأستاذ عبد السلام هارون في ذكراه الثانية ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ١٩٨٩ م .
- نحو أجرومية لدراسة النص الشعري ، مجلة فصول (المجلد العاشر) ، ١٩٩١ .
- هاينه ، فلوفجانج : مدخل إلى علم اللغة النصي ، ترجمة : دكتور فالح ابن شبيب العجمي ، ط جامعة الملك سعود ، ١٩٩٩ .
- ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق ح. الفاخوري ، ط دار الجيل .

المراجع الأجنبية :

- Halliday, M.A.K and Hasan , Ruqaiya.

Cohesion in English, London , 1976.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٧

الفصل الأول
الدرس النصي بين القدماء والمحدثين
(١٣-٥٦)
المبحث الأول
ظواهر نصية في الدرس القديم
(١٥-٣٦)

- وسائل الربط لدى النحاة القدماء..... ١٥
- الوصلة والربط لدى القدماء..... ١٨
- السبك والحبك لدى عبد القاهر الجرجاني..... ١٩
- حازم القرطاجني وحبك النص ٢٧

أولاً : الحبك على مستوى الفصل..... ٢٩

ثانيًا : الحبك على مستوى الفصول..... ٣١

- نماذج للعلاقات بين الفصول..... ٣٤

المبحث الثاني
نظرية علم النص في الدرس الحديث
(٣٧-٥٦)

- من نحو الجملة إلى نحو النص ... إطلالة تاريخية..... ٣٧
- علم النص..... ٤٠

- الأسباب الداعية لنشأة علم النص..... ٤٠
- بين الخطاب والنص..... ٤٢
- تعريف النص ٤٣
١ – المعايير اللغوية..... ٤٣
٢ – اعتبار زاوية التلقي..... ٤٦
٣ – اعتبار زاوية الاتصال..... ٤٧
- معايير النصية..... ٤٨
- السبك ٥١
أهمية السبك..... ٥١
وسائل سبك النص..... ٥٢
- الحبك ٥٥
تعريفه..... ٥٥
وسائل حبك النص..... ٥٥

الفصل الثاني

السبك في نص عبقرية عمر

(٥٧-١٢٣)

المبحث الأول

الإحالة

(٥٩-٩٣)

تعريفها..... ٥٩
أقسام الإحالة..... ٥٩
العناصر الإحالية..... ٦١
المدى الإحالي..... ٦١
أهمية الإحالة..... ٦٢

المبحث الثاني

الوصل بالأداة

(٩٥-١٠٥)

أهمية الروابط..... ٩٦

أقسام الوصل بالأداة..... ٩٦

المبحث الثالث

التكرار

(١٠٧-١٢٣)

١- تكرار اللفظ..... ١٠٧

٢- تكرار اللفظ ومادته المعجمية..... ١١٢

٣- تكرار جملة كاملة..... ١١٦

٤- تكرار جزء من الجملة..... ١٢٠

٥- تكرار متعلق الجملة..... ١٢١

٦- التوازي التركيبي..... ١٢١

الفصل الثالث

الحبك في نص عبقرية عمر

(١٢٥-١٩٢)

المبحث الأول

انتماء كلمات العبقرية إلى حقل دلالي متقارب

(١٢٧-١٣٩)

المبحث الثاني

ترتيب فصول العبقرية

(١٤١-١٤٧)

المبحث الثالث
العلاقة بين بداية الفصل ونهايته
(١٤٩-١٥٩)
المبحث الرابع
الإجمال والتفصيل
(١٦١-١٧٥)
المبحث الخامس
التقابل الدلالي
(١٧٧-١٧٩)
المبحث السادس
الوصل دون أداة
(١٨١-١٨٧)
المبحث السابع
الخطاب الحجاجي
(١٨٩-١٩٢)
الخاتمة..... ١٩٣
قائمة المصادر والمراجع..... ١٩٩
الفهرس..... ٢٠٥